

من قطر قديماً .. ذكريات عطرة

محمد همام فكري

الدوحة – ٢٠١٤

الحج من قطر قديماً .. ذكريات عطرة
محمد همام فكري (mhammamf@gmail.com)
الطبعة الأولى (٢٠١٤ م)
الدوحة – قطر
تنفيذ مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية

رقم الإيداع في دار الكتب القطرية: ٢٠١٤/٣٧٤
الرقم الدولي (ردمك) : ISBN/٩٧٨/٩٩٢٧/٠٠/٢٠٦/٦

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا
وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧
لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا
رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ﴾

(سورة الحج)



الحرم المكي الشريف

قلبي..

يا روعة هذا الحسن..

يا وهج النور المنسكب على وجهي..

يملأ صدري أريج الضوء..

تتوحد نبضات قلوب الناس الوجلة..

نتحلق حول البيت..

أتمتــم معهم يا الله ... يا الله..

يا غافر ذنب العبد..

محمد همام فكري

مقدمة :

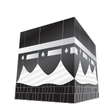
يستعيد هذا الكتاب ذكريات أهل قطر عن «رحلة الحج قديماً» من قطر إلى الأماكن المقدسة، فقد كانت رحلة الحج[1] من أهم المناسبات التي يعيشها أهل قطر سنوياً، وتشكل في حياتهم مناسبة للابتهاج، ولها في نفوسهم مكانة دينية سامية، ولطالما حظيت هذه الفريضة باهتمام واستعداد خاص تختلف تفاصيله منذ قديم الزمان مروراً بالعصور المتعاقبة وصولاً لوقتنا الراهن.

ففي قديم الزمان كانت هذه الرحلة المباركة تحمل مشاعر من الخوف والتوجس، تتحول في بعض الأحيان إلى لحظة فراق مريرة، عندما يتشبث فيها المودع بالحاج، والحاج بالمودع، وكلاهما يتمتم بآيات الرجاء والدعاء. عندما يجتمعون، آباء وأبناء، إخوة وأخوات، أقارب وجيرانا، أمهات وبنات وكباراً وصغاراً، يودعونهم وهم غير واثقين من عودتهم لأن هذه الرحلة كانت محفوفة بالمخاطر على الدوام، يواجهون مخاطر الجوع والعطش في سفرهم ويتعرضون أيضا لقطاع الطرق الذين يسلبونهم متاعهم وأموالهم، فضلاً عن تعرضهم لبعض مخاطر الكوارث الطبيعية، ومن ذلك العواصف والبرد القارس والأمطار الغزيرة والسيول الجارفة.

هذه اللحظات التي يشارك فيها الأهل والجيران تبقى في الذاكرة لعشرات السنين يتناقلونها.

---

(١) الحج في اللغة يعني القصد انظر لسان العرب: الحَجُّ القصدُ. حَجَّ إِلينا فلانٌ أَي قَدِمَ؛ وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: قصده. انظر ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير (وآخرون)، (القاهرة: دار المعارف، د. ت.)، المجلد الثاني، ص ٧٧٨.



في الصفحات التالية روايات لعدد من أبناء قطر، ينتمون لأجيال مختلفة، ويمتلك كل منهم جانباً من تلك الذكريات[1]، بعضها يتعلق بالاستعدادات التي كانت تسبق رحلة الحج، وبعضها يتعلـق بذكريات الطريق ومتاعبه والصعاب التي كانوا يواجهونها في أثنــاء الطريق ذهاباً وإياباً، إلى أن يعودوا ســالمين إلى أوطانهم وأهليهم، وكأنهم ولدوا من جديد، ليعيشوا لحظات الفرح بلقاء الأهل والأحباب بعد أن أنعم الله عليهم بتأدية هذه الفريضة العظيمة.

لا يسـعني هنا إلا أن أتقدم بالشــكر إلى كل من زودني بمعلومــة تتعلق بذكرياته عن رحلة الحج أو من ســمع عن غيره، وأخص ســعادة الشيخ خالد بن محمد بن علي آل ثاني الذي خصني بمعلومات مفيدة كان قد ضمنها كتابه « أدلة المعاني في مســيرة الشــيخ عبد الله آل ثاني » تحت الطبع ، كما أشــكر كل من الدكتور أنس محمد رأفت ســعيد عــلى تصويباته اللغوية للنص، والأســتاذ عمــر تهاني ناجي مختــار الذي قرأ وراجع مسودة الكتاب وكانت له ملاحظات قيمة، وكذلك الدكتور علي عفيفي والأستاذ وليد عبد الواحد لتعاونهما معي في توفير عدد من المصادر والمراجع، كما أشكر الأستاذ محمد ممدوح والأستاذ نادر محمد على أعمال التنسيق والجرافيك.

للأجيال الجديدة التي عرفت الحج السريع عبر وســائلَ مريحةٍ وأماكن إقامة أكثرَ راحةً، أُقدمَ لهم ما تيسر لي جَمعهُ من ذكريات الحج من قطر قديماً بكل ما تحمله من ذكريات عطرة ، وتظل الذاكرة الجمعية تحمل المزيد من الذكريات التي ربما لم يتيسر لنا الإلمام بجلها.

---

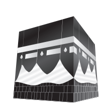
(١) اعتمدنا في إعداد هذه المادة على الروايات الشــفهية التي يتناقلها كبار الســن عن أســلافهم وذكرياتهم عن الحج.

تمهيد:

عرفت قطر الحج فريضة وركناً من أركان العقيدة منذ دخولها في الإسلام وبايعت الرسول محمداً ﷺ على طاعة الله، وإعلاء كلمة التوحيد، وكانت قطر كغيرها من مناطق شرقي الجزيرة العربية في ذلك الوقت تحت سيطرة المنذر بن ساوىَ، الذي لبى نداء الرسول عندما أرسل إليه العلاء بن الحضرمي يدعوه للدخول في الإسلام، فأعلن إسلامه وأسلم معه جميع العرب وبعض العجم ومشت قطر في طليعة من مشى لنصرة الدين الحنيف ومنها قام أول أسطول بحري نقل الجيش العربي الإسلامي للجهاد في سبيل الله بقيادة العلاء بن الحضرمي وفي الحملة التي جهزها العلاء بن الحضرمي للهجوم على فارس أبلت قطر بلاءً حسناً .

واشتهرت قطر في ذلك الوقت بإنها تنسج بها البرود القطرية، وهي حُمْر لها أعلام فيها بعض الخشونة كما وصفها بعضهم بالجودة والظاهر أن شهرة أثواب قطر استمرت إلى ما بعد ظهور الإسلام فالرسول ﷺ لبس الثوب القطري، وكذلك زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تلبس درعاً من منسوجات قطر.

وبقيت قطر تابعة للخلفاء الراشدين ثم انتقلت من بعدهم إلى بني أمية سنة (٤٥هـ/ ٦٦٥م) وظلت خاضعة لعمال أمويين إلى زمن عبد الملك بن مروان، وفي العهد العباسي كانت قطر وعمان والبحرين من الولايات التابعة للبصرة وإقليم دجلة، وفي سنة ٢٦٦هـ / ٨٧٩م عبر القرامطة إلى المنطقة وصارت البحرين وقطر واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي، وفي سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م، استولوا على قطر في طريقهم إلى عمان؛ ولانحراف عقيدة القرامطة ثار الناس عليهم، وعمّ العصيان في كلٍّ من قطر



والأحســاء والبحرين والقطيف حتى ساد الاضطراب وعدم الاستقرار في جميع الربوع إلى أن زالت دولتهم.

وجــاء بعدهم العيونيون والعصفوريون والجبــور وبنو خالد، والعتوب في فترة آل مســلم، ثم مجيء الإمام فيصل بن تركي آل ســعود عــام ١٨٥١م، ودخول محمد بن ثاني وأهل قطر في صلح معه(١).

لقــد كانت قطر مأهولة بالقبائل من أهل الســاحل وأهل البر، ومنذ منتصف القرن الثامن عشر، كانت تقوم في شمالي قطر عدة مدن مذكورة في خرائط القرن الثامن عشر ومنها الحويلة واليوسفية وفريحة والبدع وخور حسان ومطيبيخ والرويس والزبارة(٢)، وكانت القبائل تمارس حياتها وفق أعرافها وتقاليدها تحت زعامات متوارثة مســتقلة عن بعضها، يمارس قسم من سكانها الرعي وقسم آخر الغوص على اللؤلؤ.

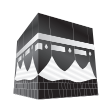
كان هؤلاء الســكان يعــبرون عن ولائهم ودخولهــم في الدعوة الســلفية التي نادت بالتوحيــد ونبذ الشرك الذي كثر آنذاك في ربــوعِ الجزيرة العربية، مثل التعبد بالقبور والتقرب بالأصنام والأشخاص والبناء على القبور والتعامل بالسحر وغيرِها من مظاهر البــدع والتيهــي تنافي عقيــدة التوحيد، ولاقت تلــك الدعوة كل القبول مــن أهل قطر ، لاســيما وأن أصول جلهم من نجد، الذين يلتقون بنسبهم مع محمد بن عبد الوهاب(٣) فَانْتَـشَرَتِ الدَّعْوَةُ بينهم وناصروهــا، وتحولوا من المذهب المالكــي إلى المذهب الحنبلي منذ ذلك التاريخ، كما كان الشــيخ جاسم بن محمد بن ثاني من أكبر المؤيدين للدعوة، وأوصى بالتمسك بمبادئها من بعده.

---

(١) انظــر الشــيباني، محمد شريف: إمارة قطر العربية بين الأمس واليــوم، دار الثقافة – بيروت –١٩٦٢ ص ٦٥

(٢) حسن جمال التريكي: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف الشيخ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ط٢ الرياض، ١٩٧٤، ٤٦٥–٤٦٦

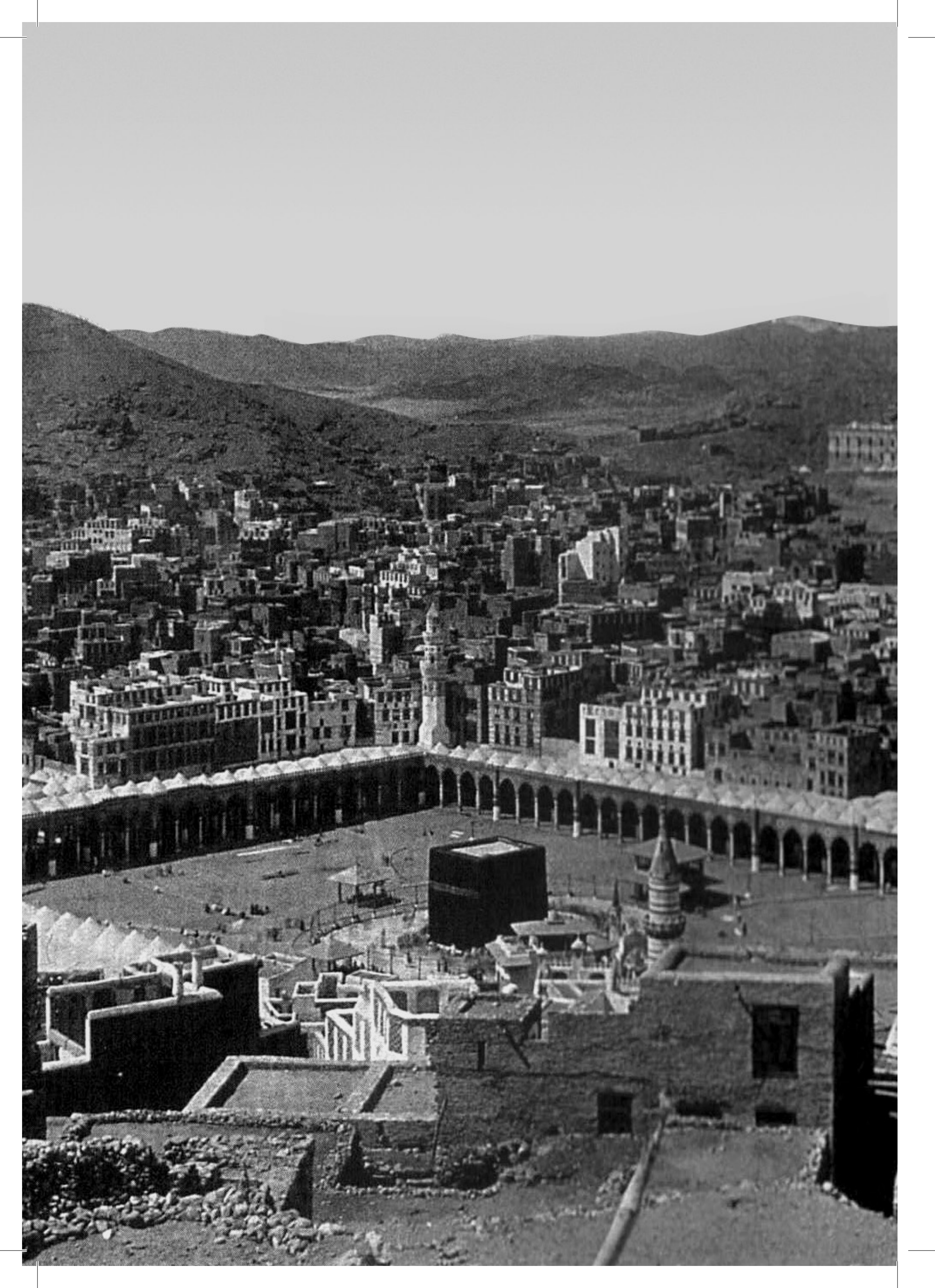
(٣) هُوَ شَــيْخُ الإِسْــلامِ مُحَمَّدُ ابنُ عَبْدِالوَهَّابِ بنِ سُــلَيْمَانَ بنِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ رَاشِــدٍ الوُهَيْبِيُّ، التَّمِيْمِيُّ.



وطيلـةَ تلك القـرونِ كانت قوافلُ الحجَ تنطلق سـنوياً على ظهـور الإبل من قطر إلى الأراضي الحجازية في رحلة شـاقة لا تخلو من المخاطر، ولكنها تركت لنا تراثاً من الذكريات العطرة.

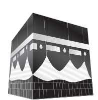
كما عرفَ أهل قطر الحج بالبحر عبر مياه الخليج والمحيط الهندي ثم البحر الأحمر، في رحلـة طويلـة وخطرة أيضاً، أو من الدوحة إلى الخبر ومنها بالإبل أو السـيارات إلى الأراضي الحجازيـة، وفي ثلاثينيـات القرن العشرين دخلت السـيارات لتحلً محل تلك الرحلات، وعلى الرغم من أن السـفر بالسـيارات أصبح ميسـوراً إلا أن وعورة الطرق كانت تسـبب في سرعة تلفها، إلى أن أصبح الحج بالطائرة هو الوسـيلة المفضلة لكافة الناس.

لقد حظيت هذه الفريضة باهتمام واسـتعداد خاص تطور على مر السنين، فالحج قديماً لا يمكن بأي حال من الأحوال مقارنته بالحج الآن بعد الثورة الهائلة التي طالت الأمن والخدمات ووسـائل التنقـل والطرق والترحال بحيث اختـصرت رحلة الحج في الوقت والجهد الشيء الكبير، فبعد أن كان يسـتغرق عدة أشهر، أصبح يتم الآن في أيام معدودة.





الحج في مذكراتهم



الحج في مذكراتهم:

على الرغم من أنَ أهل قطر، لم يسجلوا مشاهداتهم وذكرياتهم عن الحج، على طريقة أدب الرحلات الدينية، إلا أن عدداً من أسرة آل ثاني، وبعض الوجهاء، حرص على تسجيل سنوات حجهم في مذكراتهم الخاصة، وبشكل موجز للغاية، ولكنها أمدتنا بمعلومات تتعلق بسني حجهم ومدتها، ومن حج معهم.

مذكرات الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني:

ورد في مذكرات الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني[١] الذي سجل بخط يده:

«وحجتي الأَولى ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م».

أي بعد «مسيمير» عندما غزا الإمام فيصل بن تركي قطر بجيوشه عام ١٢٦٧هـ/ (١٨٥٠م-١٨٥١م).

ويقول في موضع آخر من مذكراته:

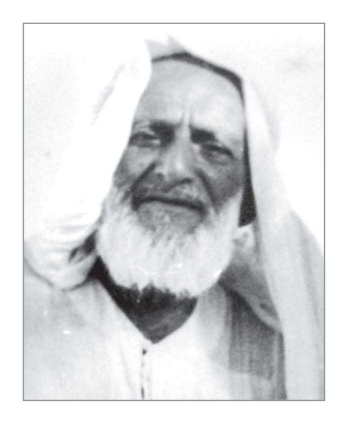
«وحجتنا الثانية سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م».

أي أنه حج لأول مرة وعمره ٢٦ عاماً، وحجته الثانية كانت وعمره ٣٧ عاماً.

---

(١) وصية الشيخ جاسم بن محمد (غير منشورة) .

مذكرات الشيخ محمد بن جاسم بن محمد بن ثاني:


الشيخ محمد بن جاسم بن محمد آل ثاني

في مذكرات الشـيخ محمد بن جاسـم[1]، يذكر تاريخ حج أخيه الشيخ عبد الله بن جاسم ويكتب بخط يده وبمنطوقه:

«حج لخـو (الأخ) عبد الله بن لوالد (الوالد) جاسـم سنة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م)».

وفي موضـع آخر يذكـر تاريخ حجه هـو (محمد بن جاســم بن محمـد آل ثاني)، وكانت المـرة الأولى له، عام ١٩٢٨م وكانت على الإبل:

«حجينـا بيت الله الحرام في ١٥ شـوال (٦ أبريل ١٩٢٨م)، ركبنا مع أهلينا وجينا (وعدنا) في ٢٢ محرم ١٣٤٧هـ (١٠ يوليو ١٩٢٨م)».

مسـتغرقاً ٩٥ أو ٩٦ يومـاً، ويسـجل في مذكراتـه أيضاً تاريخ حج أخيه الشـيخ علي بن جاسم:


الشيخ جاسم بن محمد بن جاسم آل ثاني

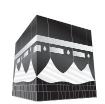
«حـج لخو (الأخ) علي بن الوالد جاسـم في ٥ شـوال (١٣٦١هـ/ الجمعـة ١٦ أكتوبـر ١٩٤٢م)، وجـاو (وجـاءوا) في ١٤ محـرم ١٣٦٢هـ» السـبت ٢١ ينايـر ١٩٤٣ م، واستغرقت رحلة الحج حوالي ٩٧ يوماً.

كما يذكر تاريخ حج ابنه جاسم عقب زواجه بشهر تقريباً:

«حج الولد جاسـم مع والدته وتزويجه، تزوج في ١٨ شـعبان (١٣٥١هـ/ ١٦ ديسـمبر ١٩٣٢م) وحج في ٢٢ رمضان (١٣٥١هـ/ ١٨ يناير ١٩٣٣م) مكة والمدينة».

---

(١) أطلعنا عليها عند سعادة الشيخ خالد بن محمد بن غانم آل ثاني.



وفي مذكرات الشيخ ناصر بن جاسم يذكر:

«حجنا المبارك نسأل الله أن يتقبل منا مع سيدتنا الوالدة رحمها الله ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م واسكنها فسيح الجنان، وحج عبد الرحمن رحمه الله وغفر له ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م ...».

وفي مقابلة مع الشيخ محمد بن حمد بن عبد الله آل ثاني:

قام الشيخ عبد الله بن جاسم وعدد من إخوته وحاشيته وبعض أعيان قطر بالحج عن طريق البر في عام ١٩٣٣م، ونشرت صوت الحجاز هذا النبأ في عددها رقم ٤٩ بتاريخ ١٣ مارس ١٩٣٣.

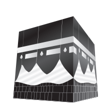


سعادة الشيخ محمد بن حمد بن عبد الله آل ثاني ومعه المؤلف

وكان بمعيته حفيده الشيخ محمد بن حمد بن عبد الله آل ثاني وفي مقابلة[1] معه تذكر الشيخ محمد هذه الرحلة قائلاً:

---

(١) مقابلة في مكتبه ظهر يوم ٢٦ سبتمبر ٢٠١٣. وسعادة الشيخ محمد من مواليد عام ١٩٢٥.



«هــذه كانت أول مرة لي أحــج، كنت أنا وأخي عبد العزيز صغيرين مع الوالد، ومن عيال الشيخ علي كان معنا الشيخ أحمد والشيخ محمد، ومعنا ناس كثيرون أذكر منهم نــاصر العطية وكان معنا بدو كثير، فقد كانــت العادة أن نقوم برحلة الحج مع جمع من الناس، وكان سفرنا على الجمال إلى الحسا وهناك أرسل لنا الملك عبد العزيز حوالي خمس عشرة ســيارة أخذتنا من الحســا، وظلت معنا رحنا بها إلى مكة وحجينا وعدنا إلى الحسا».

«لقــد كان اســتقبال الملك عبد العزيز بالشــيخ عبد الله حافلاً، فقــد جاءت بدعوة منه للشــيخ عبد الله، وربما كان خلفها اسباب سياســية تتعلق بالتنقيب عن البترول والتوافق على مناطق التنقيب، وظلت ذكريات الحج تلك عالقة في ذهني، على الرغم من عمري في ذلك الوقت لم يتجاوز السنوات السبع».

كما حج الشــيخ عبدالله ســنة ١٣٥٤هـ يوافقــه ١٩٣٦م ، وورد ذلك في تقديم لشــعر قاله الشاعر عبد الله بن صالح الخليفي مهنئاً الشيخ عبد الله في حجه ذلك العام ، يقول فيها [(١)]:

على السعد والتوفيق يا خير قادم	ويا من نــارت سماء المكارم
لك الحج مبروراً من الله ذي العلى	لك الذنب مغفوراً وكل المآثم

ويذكر الشــيخ محمد بن جاســم حجه بالســيارات عام ١٩٤٠م مع أخيه الشــيخ عبد الله بن جاسم:

«حجينــا بيت الله الحرام في ٥ لقعدة (ذي القعــدة) (١٣٥٩هـ/ الاثنين ٢٤ نوفمبر ١٩٤٠م) والمدينــة في مواتر (ســيارات) وجينا أهلينا في ٢ محــرم ١٣٦٠هـ (الخميس ٣٠ يناير ١٩٤١م) مع لخو (الأخ) الشيخ عبد الله».

وبمعيته ابنه الشيخ حمد بن عبد الله، وكان ولياً للعهد، بالإضافة إلى بعض أقاربه وحاشيته وبعض أعيان قطر.

(١) درر المعاني ج ١/ ٢٦٥ ، ودرر المعاني جمع محمود شعبان ، ص ٢١٥ .

ونــشرت جريدة صوت الحجاز الخبر في عددها رقم ٥٣٨ بتاريخ ٦ يناير ١٩٤١م، في صدر صفحتها الأولى.

كمــا نشرت جريــدة صوت الحجــاز في تاريخ ١٣٥٩/١١/٣٠هـ وخــبر قدومه إلى الإحساء في طريقه لتأدية مناسك الحج وبمعيته بعض أعيان قطر[1] .

قــدوم أمير قطر

وصل الى الاحساء فى ١٣٥٩/١١/١٣ حضرة صاحب السعادة عبدالله ابن ثانى امير قطر وقد خرج الى استقباله حضرة صاحب السمو الامير سعود بن عبدالله ابن جلوى وجم من حاشيته وقد اصطفت ثله من جنود الشرطة على باب الخميس وثله اخرى على باب الـكويت وثله تحت منزل سمو الامير سعود وادو التحيــة اللازمه لسموه وسمو الامير عبدالله ابن ثانى وقد توافدعليه المهنئون بمنزل سمو الامير يهنئونه بسلامة الوصول وقد نزل ضيفا على سمو الامير سعود بن عبدالله ابن جلوى و بعد بضعة ايام سيتحرك سموه الى الرياض للتشرف بالتسليم على حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بقصره العامر ايده الله وابقاه ذخرا للعرب والمسلمين جمعا

مراسلكم

قدوم سمو امير قطر

وصل الى مكة المكرمة ظهر يوم الثلاثاء صاحب السمو الشيخ عبدالله بن ثاني امير قطر

وقدم بمعية سموه الشيخ حمد والشيخ حسن انجال سموه وأصحاب السمو المشايخ قاسم بن على وأحمد ابن على ومحمد بن على وقاسم بن حمد وعبد العزيز ابن حمد ومحمد بن حمد وسلطان بن حسن من احفاد سموه ، كما قدم أيضا الشيوخ أصحاب السمو الشيخ محمد بن قاسم والشيخ عبد العزيز بن قاسم والشيخ سلمان بن قاسم من اخوة سموه ، . والشيخ قاسم بن فهد والشيخ قاسم بن على والشيخ سعود بن عبد الرحمن والشيخ خالد بن عبد الرحمن والشيخ خالد بن أحمد والشيخ خليفة بن أحمد والشيخ أحمد بن خالد من أسرة آل ثانى الكرام .

وكذلك قدم بمعية سموه بعض أعيان قطر .

وقد قوبلوا بما يليق بهم من الاكرام والترحيب، وحلوا ضيوفاً على الحكومة السنية .

وكان سمو الشيخ عبد الله بن ثانى وصل الى الاحساء فى منتصف الشهر الماضى فقوبل من قبل الامير سعود بن جلوى امير الاحساء بالحفاوة ثم غادرها الى الرياض وقد لقى هو ومن معه من لدن جلالة الملك المعظم كل رعاية واكرام ثم غادروها فى الاسبوع الاخير من شهر ذى القعدة ٣٥٩ الى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول ﷺ فقوبلوا من لدن وكيل اميرها الشيخ عبد الله السديرى بكل حفاوة وترحيب .

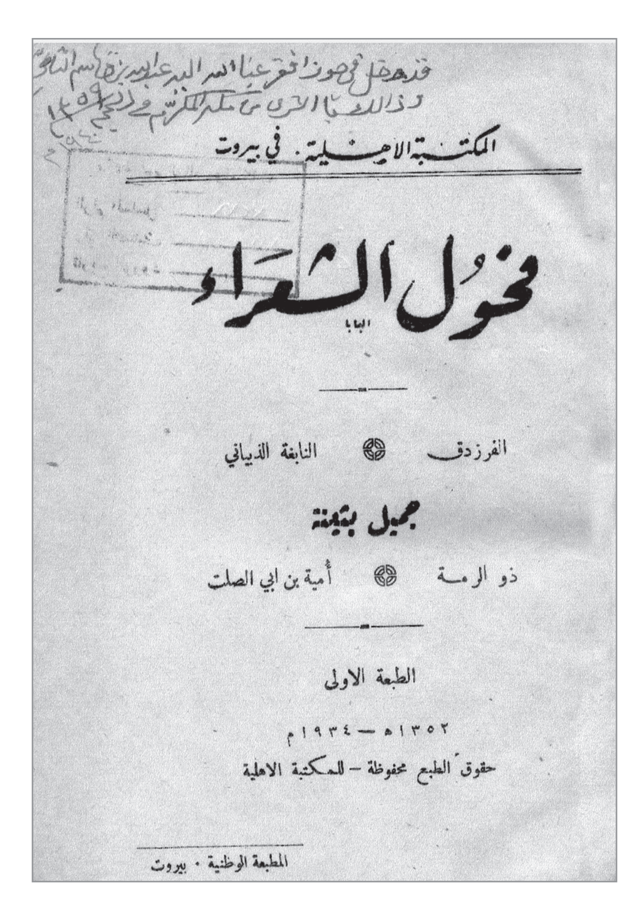
الصورة على اليمين لجريدة صوت الحجاز وعلى اليسار لجريدة أم القرى

(١) صوت الحجاز ، العدد : ٥٣٦ ، الأحد ، ٣٠ ذو القعدة ١٣٥٩ هـ ، يوافقه ٢٩ ديسمبر ١٩٤٠م .

وقد وقفنا على أحد كتبه التي عليها بخط يده يفيد أنه اشترى الكتاب من مكة عام ١٣٥٩هـ، ونصه ما يلي:

«قد دخل في حوزة أفقر عباد الله إليه عبد الله بن قاسـم الثاني وذلك بالشراء من مكة المكرمة في ذي الحجة سنة ١٣٥٩». هكذا كتب .

والكتــاب عنوانه: فحوُل الشــعَراء :الفــرزدق، النابغة الذبياني، جميـل بثينة، ذو الرمــة، أمية بن أبــي الصلت [1]وهو ما يعكس اهتمام أمير قطــر بجلب الكتب حديثة النشر معه في أثناء رحلة الحج.


المكتبة الاهلية . في بيروت

فحول الشعراء

الفرزدق ❁ النابغة الذبياني

جميل بثينة

ذو الرمة ❁ أمية بن ابي الصلت

الطبعة الاولى

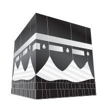
١٣٥٢هـ — ١٩٣٤م

حقوق الطبع محفوظة — للمكتبة الاهلية

المطبعة الوطنية • بيروت

غلاف كتاب
فحول الشعراء

(١) الكتاب من منشــورات المكتبة الأهلية في بيروت، طبعة أولى، ١٩٣٤م، ومحفوظ في مكتبة قطر الوطنية (المجموعة التراثية) .



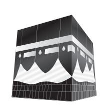
فقد كانت مكة سوقاً رائجاً للمخطوطات والكتب التي تأتيها من كل صوب وحدب، لتباع في أثناء موسم الحج، ومما كان يباع بالإضافة إلى المصاحف المخطوطة، صحيح البخاري وكتب الأحاديث ومسند الإمام أحمد وسنن الترمذي وغيرها من الكتب الستة... ولعل معظم أهل قطر قد قاموا بتكوين مكتباتهم الخاصة من مشترياتهم في أثناء الحج إما بأنفسهم أو عن طريق أقاربهم ومعارفهم في أثناء رحلة الحج.



صورة للشيخ عبد الله بن جاسم وفي الصورة يقف الشيخ محمد بن جاسم في أقصى اليمين في أوائل الأربعينيات

وفي هذا العام، وبعد أن قام الشيخ عبد الله بن جاسم بأداء فريضة الحج، طلب الشيخ عبد الله من الملك عبد العزيز آل سعود أن يبعث معه برجل يصلح للقضاء والفتوى حيث كانت قطر في ذلك الوقت دون قاض بعد أن غادرها الشيخ محمد بن مانع وقد وقع اختيارهما على الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود وذلك بإيعاز من الشيخ ابن مانع، وقد صدر الأمر إليه بالتوجه معهما في السنة نفسها حيث تقلد أمانة القضاء في أواخر ذي الحجة عام ١٣٥٩هـ.

ومنذ ذلك الوقت وحتى وفاته وهو مرجع الفتوى في قطر، وكانت له فتوى شهيرة بجواز الرمي قبل الزوال وفي كل وقت من النهار والليل، وكان الفقهاء في ذلك الحين يفتون بعدم جواز الرجم إلا بعد الزوال وحتى غروب الشمس ما أدى إلى وقوع وفيات عديدة.



وفيما يتعلق بسفر الشيخ علي بن عبد الله (حاكم قطر الأسبق) للحج، يذكر الشيخ محمد بن جاسم في مذكراته:

«حج الشــيخ علي بــن عبد الله الثاني في ١٥ شــوال (١٣٦٣هـ/ الثلاثــاء ٣ أكتوبر ١٩٤٤م)»[(١)].

والجديــر بالذكر أن الشــيخ علي قام بتأديــة فريضة الحج والعمــرة أكثر من مرة فضلاً عن زياراته الرسمية للمملكة العربية السعودية، والتي سيرد ذكرها لاحقاً.

كتابة الوصية :

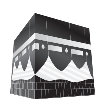
حري بالحاج قبل أن يبدأ رحلة الحج أن يكتب وصيته، وبيان ما له وما عليه، وهذا ما نراه عند الشــيخ محمد بن جاسم، الذي كان كلما عزم على الحج، كتب وصيته قبل أن يقوم بالرحلة خشيت أن يتوفاه الله في أثناء الحج.

وكان هــذا حــال الكثيرين من أبناء قطــر، بل كان معظمهم يتــوق لذلك، كما كان بعضهم يأخذ كفنه معه للحج، ولسان حاله يقول:

«أنا ذاهب الحج ويمكن ما أرجع، فيكون كفني جاهز».

فــإذا كتب الله له إتمام فريضته، يغســله بمــاء زمزم ويعود به، ونفســه راضية، بما كتبه الله له.

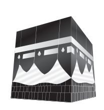
(١) من مذكرات بخط المغفور له الشيخ محمد بن جاسم بن محمد بن ثاني.



الشيخ عبد اللّه بن جاسم بن ثاني
ونجله الشيخ علي أمير قطر الأسبق يزوران الأراضي المقدسة
(تأدية العمرة)

وفي مســاء يوم الثلاثاء الماضي أقام صاحب الســمو الشــيخ عبد الله بن ثاني وسمو نجله الشيخ علي بن ثاني أمير (قطر) حفلة عشاء كبرى في فندق الزاهر بمكة الكرمة شرفها سمو الأمير عبد الله الفصيل وأعضاء الأسرة المالكة كما حضرها هيئة مجلس الشــورى ورؤســاء دوائر الحكومة وكبار الموظفين والعلماء والتجار والأعيان والوجهاء وغيرهم من أعضاء اللجان والمجالس والهيئات.

وما غربت شمس يوم الثلاثاء الماضي إلا وقد كانت جميع المعدات الفخمة لهذه الحفلة، قد أجريت في حديقة فندق الزاهر على أبدع ما يكون من الرونق والبهاء والفخامة والجمال، وقد صفت في مركز الاســتراحة بهذه الحديقة الأرائك الفاخرة النفيســة، كما مدت في وسط هذه الحديقة موائد العشاء الفخمــة وقد احتوت ما لذ وطاب من أنواع الطعام الفاخرة والحلويات والفواكه الممتازة، وكان جو الحديقة مزداناً بمصابيح الكهرباء في أشكال أنيقة ونظام مرونق، وقد اصطفت أمام باب الحديقة ثلة من جنود الشرف مع فرقة الموســيقى. وفي الســاعة الواحدة حضر المدعوون بالحديقة وحينئذ أقبل الضيفان الكريمان في موكب فخم يرافقهما سمو الأمير عبد الله الفيصل وحين وصولهما أدت الجنود التحية العســكرية لهما، وعزفت الموسيقى بالسلام واســتقبلا في الحديقة بمنتهى الحفاوة وقد تصدرا محل الاستراحة وأديرت القهوة العربية، وبعد ذلك دعي الحاضرون لتناول العشاء على تلك المائدة الفخمة الأنيقة وقد تصدرها الضيفان الكريمان وبجانبيهما وأمامهما ســمو الأمير عبد الله الفيصل وأعضاء الأسرة المالكة، وبعد الانتهاء من تناول طعام العشاء على هذه المائدة الكريمة عاد الضيفان الكريمان يرافقهما سمو الأمير عبد الله الفيصل وأعضاء الأسرة المالكة إلى صدر مقر الاســتراحة في هذه الحديقة الغناء وتبعهم الحاضرون، وبعد أن أديرت القهوة العربية والطيب على الجميع غادر الضيفان الكريمان يرافقهما ســمو الأمير عبد الله الفيصل هذه الحديقة وقد شــيعا بمثل ما استقبلا به من الحفاوة والتكريم.



(جريدة أم القرى فى يوم الجمعة ٩ ربيع الثانى سنة ١٣٧٢ هـ - الموافق ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٢ م)

اقامة الضيفين الكريمين أميرى (قطر)

حفلة عشاء كبرى

بفندق الزاهر فى مكة المكرمة

فى مساء يوم الثلاثاء الماضى اقام صاحب السمو الشيخ عبد الله بن ثانى وسمو نجله الشيخ على بن ثانى أمير (قطر) حفلة عشاء كبرى فى فندق الزاهر بمكة المكرمة شرفها سمو الأمير عبدالله الفيصل وأعضاء الاسرة المالكة كما حضرها هيئة مجلس الشورى ورؤساء دوائر الحكومة وكبار الموظفين والعلماء والتجار والأعيان والوجهاء وغيرهم من أعضاء اللجان والمجالس والهيئات .

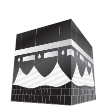
وماغربت شمس يوم الثلاثاء الماضى الا وقد كانت جميع المعدات الفخمة لهذه الحفلة قد أجريت فى حديقة فندق الزاهر على أبدع ما يكون من الرونق والبهاء والفخامة والجمال وقد صفت فى مركز الاستراحة بهذه الحديقة الأرائك الفاخرة النفيسة كما مدت فى وسط هذه الحديقة موائد العشاء الفخمة وقد احتوت مالذ وطاب من أنواع الطعام الفاخرة والحلويات والفواكه الممتازة وكان جو الحديقة مزدانا بمصابيح الكهرباء فى أشكال أنيقة ونظام مرونق وقد اصطفت أمام باب الحديقة ثلة من جنود الشرف مع فرقة الموسيقى . وفى الساعة الواحدة حضر المدعوون بالحديقة وحينئذ أقبل الضيفان الكريمان فى موكب فخم يرافقهما سمو الأمير عبد الله الفيصل وحين وصولهما أدت الجنود التحية العسكرية لهما وعزفت الموسيقى بالسلام واستقبلا فى الحديقة بمنتهى الحفاوة وقد تصدرا محل الاستراحة وادير القهوة العربية ، وبعد ذلك دعي الحاضرون لتناول العشاء على تلك المائدة الفخمة الأنيقة وقد تصدرها الضيفان الكريمان وبجانبيهما وأمامهما سمو الأمير عبدالله الفيصل واعضاء الاسرة المالكة وبعد الانتهاء من تناول طعام العشاء على هذه المائدة الكريمة عاد الضيفان الكريمان يرافقهما سمو الأمير عبد الله الفيصل وأعضاء الاسره المالكة الى صدر مقر الاستراحة فى هذه الحديقة الغناء وتبعهم الحاضرون، وبعد أن أديرت القهوة العربية والطيب على الجميع غادر الضيفان الكريمان يرافقهما سمو الأمير عبد الله الفيصل هذه الحديقة وقد شيعا بمثل ما استقبلا به من الحفاوة والتكريم

جريدة «أم القرى» - العدد ١٤٤٤ - الجمعة ٩ ربيع ثاني ١٣٧٢ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩٥٢

وهكـذا نشرت جريدة أم القرى في عددها رقـم ١٤٤٤ بتاريخ يوم الجمعة ٩ ربيع الثاني ١٣٧٢هـ/ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩٥٢ م، ونصّها:

في عشـية يوم الجمعة الماضية احتفلت هذه البلاد المقدسة احتفالاً فخماً باستقبال صاحب السـمو الشـيخ عبد الله بن ثاني ونجله الشيخ علي بن ثاني أمير قطر، فخرج من مكة المكرمة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل (وكيل نائب جلالة الملك ووزير الداخلية والصحة) في موكبه المهيب إلى (الشرائع) وكان في معية سـموه هنالك سعادة وكيل وزارة المالية الشيخ سليمان الحمد وسعادة مستشار وزارة المالية الشيخ محمد سرور الصبان، وغيرهما من رجال الدولة وأعيان البلاد، وقد استقبل سموه ومن في معيته بأسمى مظاهر الحفاوة والضيفين الكريمين (الشيخ عبد الله بن ثاني ونجله الشيخ علي بن ثاني أمير قطر) حين وصولهما إلى الشرائع في موكب فخم من الرياض بطريق السيارات، ثم سار سمو الأمير عبد لله الفيصل ومن في معيته مرافقاً للضيفين الكريمين في موكب رائع على السـيارات الفخمة من الشرائع إلى مكة المكرمة فاسـتقبل فيها الضيفان الكريمان بأسـمى مظاهر الحفـاوة وأدت الجنود المصطفة عند مدخل مكـة التحية العسـكرية لهما وحلا ضيفـين كريمين في القصر الفخـم الذي هيئت به جميع أسباب الراحة والرفاهية بجانب المسجد الحرام، ليتسنى لهما باستمرار التمتع برؤية الكعبة المشرفة، والطواف بها والصلاة عندها.

وبعـد أن اسـتراحَ الضيفـان الكريمان في الفترة التي أديا بهـا صلاة العصر بادرا بأداء نسـك العمرة فطافا بالبيت الحرام سـبعة أشـواط ثم سـعيا بين الصفا والمروة سبعة أشواط، وبعد أن أتما نسك العمرة عادا إلى القصر الذي أُعد لهما محفوفين بمثلِ ما استقبلا به من مراسم الحفاوة والإجلال. ولقد كانت الجماهير المصطفة على جانبي الطريـق التي مر بها الضيفان الكريمان يرافقهما سـمو الأمير عبد الله الفيصل توالى تصفيقها تحية لهما.



﴿ جريدة أم القرى في يوم الجمعة ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٧٢ هـ — الموافق ٢ يناير سنة ١٩٥٣ م ﴾

سفر سمو الشيخ عبد الله بن ثاني وسمو نجله الشيخ علي بن ثاني امير قطر الى الرياض

الحفاوة الفخمة بتوديعهما في مكة المكرمة

في عشية يوم الجمعة الماضية غادر مكة المكرمة بطريق السيارات الى الرياض الضيفان الكريمان صاحب السمو الشيخ عبد الله بن ثاني وسمو نجله الشيخ علي بن ثاني امير قطر في موكب فخم بعد ان أديا صلاة الجمعة الماضية بالمسجد الحرام وطافا بعد ذلك بالكعبة المشرفة طواف الوداع وقد ودعا عند مغادرتهما المسجد الحرام بحفاوة فائقة من رؤساء دوائر الحكومة وكبار الموظفين والوجهاء وعلى رأس الجميع صاحب السمو الملكي الامير عبد الله الفيصل (وكيل نائب جلالة الملك ووزير الداخلية والصحة) وقد ادت الجنود المصطفة هنالك التحية العسكرية للضيفين الكريمين كما كانت الجماهير المصطفة على جانبي الطريق تحييهما تحية الوداع اللائقة بمقام ضيفي جلالة عاهل البلاد المفدى، وقد رافق الضيفين الكريمين في موكبهما سمو الأمير عبد الله الفيصل مسافة طويلة وحين وصول الضيفين الكريمين في موكبهما الفخم الى (الشرائع) استقبلا هنالك بحفاوة فائقة من سعادة وكيل وزارة المالية الشيخ سليمان الحمد وسعادة مستشار وزارة المالية الشيخ محمد سرور الصبان وغيرهما من كبار رجال وزارة المالية وسواهم من كبار الموظفين والأعيان؛ وقد استراح الضيفان الكريمان بالشرائع بالمكان الذي اعد لنزولهما احسن اعداد وهيئت به جميع اسباب الراحة وتناولا فيه طعام العشاء وامضيا به ليلة هنيئة محفوفين بأسمى مراسم الحفاوة. وفي الصباح المبكر غادر الضيفان الكريمان الشرائع في موكبهما الفخم الى الرياض وقد ودعا بمثل ما استقبلا به من الحفاوة والتكريم. اصحبهما الله السلامة في كل ظعن واقامة.

جريدة «أم القرى» - العدد ١٤٤٥ - الجمعة ١٦ ربيع ثاني ١٣٧٢ الموافق ٢ يناير ١٩٥٣

جلالة الملك

يستقبل في المحطة ظهر أمس ضيفه الكريمين

سمو الامير الشيخ عبد الله آل ثاني حاكم قطر ونجله سمو الأمير علي آل ثاني

في الساعة السادسة من صباح أمس [الاثنين] غادر ركاب حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم القصر الملكي العامر قاصداً محطة سكة حديد الرياض، وفي الساعة السادسة والدقيقة الثلاثون وصل قطار الديزل الخاص الى المحطة يقل صاحب السمو الشيخ عبد الله آل ثاني وسمو نجله الكريم الشيخ علي آل ثاني



حاكم [قطر] فنزلا سموهما من القطار، واستعرضا حرس الشرف المصطف في ساحة المحطة، وبعد ان تقدما سموهما فسلما على جلالة الملك غادرا المحطة في سيارة جلالته الخاصه حيث حلا سموهما ضيفان كريمان في قصر الضيافة الخاص وفي الساعة العاشرة زار جلالة الملك ضيفيه الكريمين في قصر الضيافة، ثم غادره الى قصره العامر وفي المساء أعدت مأدبة ملكية كريمة في القصر العامر احتفاء بالضيفين الكريمين.

خبر جريدة البلاد السعودية

احتفاء جلالة الملك المعظم في الرياض

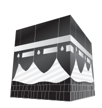
بضيفي جلالته الكريمين

صاحب السمو الشيخ عبد الله آل ثاني وسمو نجله الشيخ علي آل ثاني حاكم قطر

جاءنا من الديوان الملكي العالي بالرياض في ١٣٧٢/٣/٢٠ ما يأتي:

في الساعة السادسة من صباح هذا اليوم الاثنين غادر ركاب حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم القصر الملكي العامر قاصداً محطة سكة حديد الرياض وفي الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين وصل قطار الديزل الخاص الى المحطة يقل حضرة صاحب السمو الشيخ عبدالله آل ثاني وسمو نجله الكريم الشيخ علي آل ثاني حاكم قطر فنزلا سموهما من القطار واستعرضا حرس الشرف المصطف في ساحة المحطة وبعد أن تقدما سموهما فسلما على جلالة الملك غادرا المحطة بسيارة جلالته الخاصة حيث حل سموهما ضيفين كريمين في قصر الضيافة الخاص وفي الساعة العاشرة زار جلالة الملك ضيفيه الكريمين في قصر الضيافة ثم عاد الى قصره العامر وفي المساء أعدت مأدبة ملكية كريمة في القصر الملكي العامر احتفاء بالضيفين الكريمين.

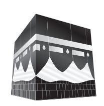
خبر جريدة أم القرى
العدد: ١٤٤٢



طواف الوداع

وفي جريدة أم القرى العدد ١٤٤٥ في يوم الجمعة ١٦ ربيع الثاني ١٣٧٣هـ -الموافق ٢ يناير سنة ١٩٥٣م، نشرت الجريدة خبر سفرهما بعد طواف الوداع جاء فيه:

«في عشية يوم الجمعة الماضية غادر مكة المكرمة بطريق السيارات إلى الرياض الضيفان الكريمان صاحب السمو الشيخ عبد الله بن ثاني وسمو نجله الشيخ علي بن ثاني أمير قطر في موكـب فخم بعد أن أديا صلاة الجمعة الماضية بالمسـجد الحـرام وطافا بعد ذلك بالكعبة المشرفـة طـواف الوداع وقد عـاد عند مغادرتهما المسـجد الحرام بحفاوة فائقة من رؤسـاء دوائر الحكومة وكبار الموظفين والوجهاء وعلى رأس الجميع صاحب السمو الملكي الأمير عبد اللــه الفيصل (وكيل نائب جلالة الملك ووزيـر الداخلية والصحة)، وقد أدت الجنود المصطفة هنالك التحية العسكرية للضيفين الكريمين كما كانت الجماهير المصطفة على جانبي الطريق تحييهمــا تحية الوداع اللائقة بمقام ضيفي جلالة عاهــل البلاد المفدى، وقد لحق بالضيفين الكريمــين في موكبهما سـمو الأمير عبد الله الفيصل مسـافة طويلة وحـين وصول الضيفين الكريمــين في موكبهمــا الفخم إلى (الشرائع) اسـتقبلا هناك بحفاوة فائقة من سـعادة وكيل وزارة المالية الشـيخ سـليمان الحمد وسـعادة مستشـار وزارة المالية الشـيخ محمد سرور الصبان وغيرهما من كبار رجال وزارة المالية وسواهم من كبار الموظفين الأعيان؛ وقد استراح الضيفان الكريمان بالشرائع بالمكان الذي أعد لنزولهما حسن إعداد وهيئت به جميع أسباب الراحة وتناولا فيه طعام العشـاء وأمضيا به ليلة هنيئة محفوفين بأسـمى مراسم الحفاوة . وفي الصباح المبكر غادر الضيفان الكريمان الشرائع في موكبهما الفخم إلى الرياض وقد ودعا بمثل ما استقبلا به من الحفاوة والتكريم. اصحبهما الله السلامة في كل ظعن وإقامة».



كان الشـيخ علي بن عبد الله آل ثاني، مواظبًا على أداء مناسـك الحج والعمرة، فقد قصد مكة المكرمة أكثر من عشرين مرة في حياته، وكان له قصر يسـكنه إذا حلّ هناك حاجًـا أو معتمـرًا[١] فقد قصد الحجاز حاجًـا أو معتمرًا في أكثر السـنوات التي كان حاكمًا فيها، وتضاعف سفره إلى الديار المقدسة بعد ما نزل عن الحكم، وتفرغ للعبادة والنسـك، ولنـا أن نقول إنه زار مكة – فضلا عن المدينة المنـورة – في الأعوام الهجرية الآتية: ١٣٤٦، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، وغيرها.

كمـا زار المسـجد الأقصى المبارك في القـدس والحرم الإبراهيمـي في مدينة الخليل، وصلى فيهما، وقدم هبات كريمة في سنتي ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، و١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.[٢]

وفي مذكرات الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، يذكر في أكثر من موضع قيامه بصحبة الشيخ علي بتأدية فريضة الحج أو لتأدية العمرة، فيقول:

جاءنا برقية من قطر من الدوحة من الشـيخ قاسـم بن درويـش في ١١ ذي القعدة سـنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦) هذا نصها:

«الشـيخ محمد المانع: غادر الشـيخ عـلي الدوحة إلى مكـة صباحاً يوم السـبت بطريق السـيارة ، عاشر ذي القعدة سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦) جاسم الدرويش»[٣].

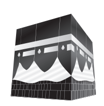


الوجيه جاسم درويش فخرو

(١) محمد محمود الدروبي: مقابلة مع حفيده الدكتور حسن بن محمد بتاريخ ٦/ ٧/ ٢٠٠٧م.

(٢) محمد محمود الدروبي: الأمير الراشـد الشـيخ علي بن عبد الله آل ثاني، (الدوحة: مركز شباب برزان، ٢٠٠٨)، ص ١٤٦.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله الشقير، قطر في مذكرات ابن مانع، د.ت، ص٢٥، ٢٦



عمرة رمضان ١٣٧٧هـ :

في آخر شـعبان سـنة ١٣٧٧ه (١٩٥٧م) سـافرت إلى مكة صحبة الشـيخ علي بن ثاني، حاكم قطر، وصمنا في مكة رمضان، وفي شوال من هذا العام سافرنا من مكة إلى قطر فوصلناها بالسلامة[١].

الحج عام ١٣٧٩هـ :

- وصلنـا قطـر في ١٥ صفر سـنة ١٣٧٩ه (١٩٥٩م) وكان ابتداء السـفر في ١١ ذي القعدة سنة ١٣٧٨ه (١٩٥٨م) للحج صحبة الشيخ علي بن عبد الله الثاني.

- عام ١٣٨٠ه (١٩٦٠م) بمعية الشـيخ علي بن عبد الله آل ثاني «سـافرنا إلى العمرة سـنة ١٣٨٠ه (١٩٦٠م) في ٣ شـوال ورجعنـا إلى قطـر في ٢ ذي القعدة ١٣٨٠ه (١٩٦٠م) صحبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني»[٢].

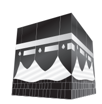
(١) المصدر السابق، ص ٣٠

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥ .



الاستعداد للحج





الاستعداد للحج:

كان أهل قطر يستقبلون موسم الحج مع قدوم شهر رمضان من كل عام، ويصف لنا يوسـف بن عبد الرحمـن الخليفي بعض أجواء رمضان قائلاً: «فإذا ما حل شـهر رمضـان المبارك زاد الكرم وكثرت الصدقـات وعمت الفرحة الجميع وفتحت المجالس ومدت موائد الافطار العامرة تستقبل كل فقير ومحتاج بصدر رحب ووزعت المأكولات على الفقراء، أما ليالي هذا الشـهر المبارك فإنها تحىَ بذكر الله من صلاة وقراءة قرآن إذ يجتمـع الناس في مجلس أحدهم لتـلاوة القرآن وختمه، حتى إذا ما حلت ليلة العيد كان القـرآن قـد ختم ونـال صاحب البيت ثوابـاً لفتحه باب بيته لهم كالمسـجد ونال الحاضرون أجرهم لاستماعهم لكتاب الله»[(١)].

وهكـذا يمـضي بعضهم أيام الشـهر الفضيل في عبادة لا تنقطع، ويسـيطر عليهم شـعور الخشـوع والطاعة لله، فإذا انتصف الشـهر، يحتفل، الأطفال وهم ينشـدون أهازيج (القرنقعوه) [(٢)]ويدعون لمن يعطيهم بزيارة مكة:

عطـــــــــــــــونا الله يعطيكم

بيت مـــــــــــــــكة يوديكـــــــم

يا مكـــــــــــــــة يا معمـــــورة

يام الســــلاسل والذهـــب يا نـــورة

(١) انظـر : يوسـف بن عبد الرحمـن الخليفي، التحفة البهية في الآداب والعـادات القطرية ، ط٢، ١٩٨٦، ص ١١١

(٢) تُمثل ليلة القرنقعوه ليلة تراثية، حيث يحتفل بها المجتمع القطري في ليلة النصف من شـهر رمضان المبارك.

عطـــــــــــــــــونا دحبة ميزان

ســــــــــــــــــلم لكم عزيزان

عطـــــــــــــــــونا من مال الله

ســــــــــــــــــلم لكم عبد الله

إلى آخره، وحين يتمون الشهر يحتفلون بعيد الفطر بمشاعرَ من الفرحة والتقوى، ويكـون ذلـك في الوقت نفسـه إيذاناً لمن عزم عـلى تأدية فريضة الحـج أن يتأهب له، فتكثر زيارات الأهل والأقارب، ويعقدون اجتماعات مسـائية يتحدثون فيها عن الحج وذكرياته، حيث يتبارى من سـبق لهم الحج في استعادة ذكرياتهم وإسداء نصائحهم لأحبائهم العازمين على الحج، ويحرص كبار السن على كتابة وصيتهم، ويستودعونهم عند الله فالأعمار بيد الله، ويخشى ألاَ يرجع...

وتنشغل كل أسرة بتجهيزاتها، من ملابسِ الإحرام، واحتياجاتها من مأكل ومشرب؛ يقومـون بتجميعه خلال شـهر رمضان من عيش ودهن وطحين وتمر وهيل وسـكر وشاي، ومستلزمات الطبخ من قدور وصواني وحطب، وكانوا يشترون لذلك صناديق من الصاج بعضها يأتي من الهند أو الباكستان، يخزنون فيها احتياجاتهم، ولقد ذكر لي يوسف أحمد الحميد أنه حج في شتاء عام ١٩٧٠م، بصحبة والدته وخالته، في حملة إرحمه الحسـاوي، ولاحظ أن الصندوقين اللذين اشـتراهما والده كان مرسـوماً عليها ورود ملونة بالأخضر والأحمر على طريقة بلدان آسيا الإسلامية.

ويعلق درويش الفار على مشقة الحج قديماً قائلاً:

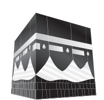
«ولا يزال يعيش في بلاد المسلمين، من أدوا فريضة الحج قبل خمسين عاماً وعرفوا مشقة السفر مشياً على الأقدام أو على ظهور الضوامر من كل فج عميق، وذاقوا حلاوة النجاة بالروح والمال من قطاع الطريق أو تعرضوا للسلب والنهب والقتل قبل أن يصلوا إلى بيت الله العتيق. ومنهم من عانى مشــقة ووعثاء التنقل خلال المشاعر المقدسة بين مكة المكرمة ومنى وعرفات وإلى مسـجد رسـول الله ﷺ. ومنهم من تعرض للأوبئة والأمـراض، ونجا منها بأعجوبة، في ذلك الزمان الذي لم تكن فيه حكومة ترعى ضيوف الرحمن، وتنفق عن سـعة لتأمين المسالك والـدروب، وتوفـير الطعام والماء والدواء، وتعبيد الطرق وتدبير وسـائل المواصلات، وإنشـاء الموانـي والمطـارات، وما إلى ذلك من أبواب العناية، التي لم يكـن أحد من أجدادنا هؤلاء يحلم بها، أو يتصور أن تكون في يوم من الأيام»[١].

النول:

يدفع الحاج للمقاول «النول»، وهو الأجرة التي يدفعها نظير تكاليف رحلته، ولقد تراوحـت الأجرة في قطر من عشرات الروبيـات قديماً، إلى مائة ريال وتصاعدت إلى أن وصلـت ٥٠٠ ريال حتى عام ١٩٧٠م، ووصلت في عـام ١٩٨٠م إلى ثلاثة آلاف ريال، ويقوم المقاول بترتيبات السفر معهم، وتحديد موعد الانطلاق.

بينما عرف أهل قطـر الآن الحج السريع، والحج الممتاز، بتكاليف باهظة تصل إلى عشرات الآلاف (٢٠١٤م).

(١) درويش مصطفى الفار: قطرات مداد، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، ١٩٨٥، ص ١٦٨



انطلاق قوافل الحج:

لقد كان أهل قطر، يستعدون للرحلة مبكراً، فصاحب الحملة يشتري الجمال قبل موسم الحج ويضعها في أحد الحوط (الساحات) التي يملكها، كما كان يفعل الحاج جلمود حتى ابتداء موسم الحج، ويكون اختيار صاحب الحملة عادة لإناث الإبل «الزمل»، وذلك لما فيها من الصفات التي تؤهلها لتحمل المشاق أكثر من الذكور، ثم يوضع عليها وسم الحملة ببدن الإبل، ليعرف صاحب الحملة إبله إذا ضلت في الصحراء أو سرقت، والجدير بالذكر أن الناقة عادة ما تنهك من التعب وتضعف بسبب طول المسير، ووعورة الطريق، لذا ما إن تصل الحملة إلى مدينة الرياض حتى تستنفد الإبل كامل طاقتها فيضطر حينها صاحب الحملة لاستبدالها بجمال جديدة سواء بالشراء أو بالتأجير.

وتبدأ قوافل الحج في التجمع في ساحة قريبة من مدينة الدوحة، بالقرب من الديوان الأميري عند قلعة الكوت؛ حيث يتوافد الحجيج من أطراف البلاد، ويأتي معهم المودعون، ويستمرون في حزم أغراضهم، وعادة ما يقوم بهذه المهمة المودعون، بينما يكون الحجاج قد دخلوا في حالة من الروحانية، وبعد صلاة الفجر إلى قبيل صلاة الظهر (الضحى) يكونون قد استعدوا تماماً، ويكون المقاول قد تسلم زمام القيادة، ليعلن قيام الرحلة براً في اتجاه «سلوى» جنوب غرب قطر.

وفي أثناء الطريق يلتحق بهم العديد من قوافل الحجيج الأخرى وبعضها كان للميسورين والوجهاء من أبناء قطر، بينما يهرول بعض الدراويش والفقراء وهم مجموعة من الهنود والعجم القادمين من بلدانهم البعيدة لأداء فريضة الحج مشياً على الأقدام ليلحقوا بالقوافل الذاهبة إلى مكة بلا زاد ولا رواحل.

وتســتمر القافلة في مســيرها إلى أن تصل إلى «أبو ســمرة»[1] على الحدود السعودية وكان بعــض المودعين يصاحــب الحجيج حتى نقطة التفتيــش وعندما يعبر الحجيج الحدود يعود المودعون إلى الدوحة.

وفي «أبو سمرة» تقوم السلطات السعودية، بالتحقق من شخصيات الحجيج وبطاقات التطعيم الصحي، كما يقومون بتفتيش الحجيج، إلا النســاء لا تفتش ولو حملت ذهب الدنيا معها وذلك تكريماً لها، كما كن يحملن تصاريح سفر ولكنها كانت تخلو من صور النساء، حيث كان يكتب مكان الصورة محجبة، وظل هذا معمولاً به إلى أوائل الثمانينيات.

بينما يمنع أصحاب السيارات من اصطحاب الدراويش، خصوصاً إذا كان الدرويش بدون هوية أو جواز ســفر، وكان بعضهم يغافل العساكر ليندس بين الناس ويتوارى في جموع الحجيج فتأخذهم الرأفة بهم.

ويروي الشيخ ثاني بن خالد الذي حج عام ١٩٦٦م، أنه شاهد أحدهم من دراويش (الباتــان)[2]، عزم على الحج ماشــياً عــلى قدميه، وعندما منع من الســفر لعدم وجود جواز سفر معه، فإذا به يلقي بنفسه على الأرض، وأخذ يحشو فمه بالتراب من القهر، وهــو يقول أموت ولا أرجع، ويكرر: أموت ولا أرجــع، ويجهش بالبكاء، وكان منظره مؤثراً للغاية، مما حذا بالشيخ خالد بن ثاني أن يصطحبه على مسئوليته.

ولأن بعــض الدراويــش لا يتمكنون من قطع مســافة ٢٥٠ كيلو مــتراً مثلاً بدون مســاعدة الســيارات خصوصاً وأن الطريق كانت وعرة وبدون مــاء أو زاد مما يتعذر عليهم الســير كل هذه المســافة، وكنا لا نعرف لغتهم ولا يعرفون لغتنا، ومعظمهم من العجزة، ولقد مات عدد من المجازفين في طريق الدوحة والسعودية[3]، وبعضهم تعذر دفنه لصعوبة الأوضاع آنذاك ....

---

(١) يعتــبر منفذ أبو ســمرة الحدودي المنفذ الــبري الوحيد لدولة قطر ويقع في الحــدود الغربية الجنوبية للدولة على بعُد حوالي [١١٠] كيلو متر من مدينة الدوحة.

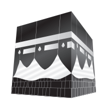
(٢) وهم خليط من الباكستانيين والأفغان.

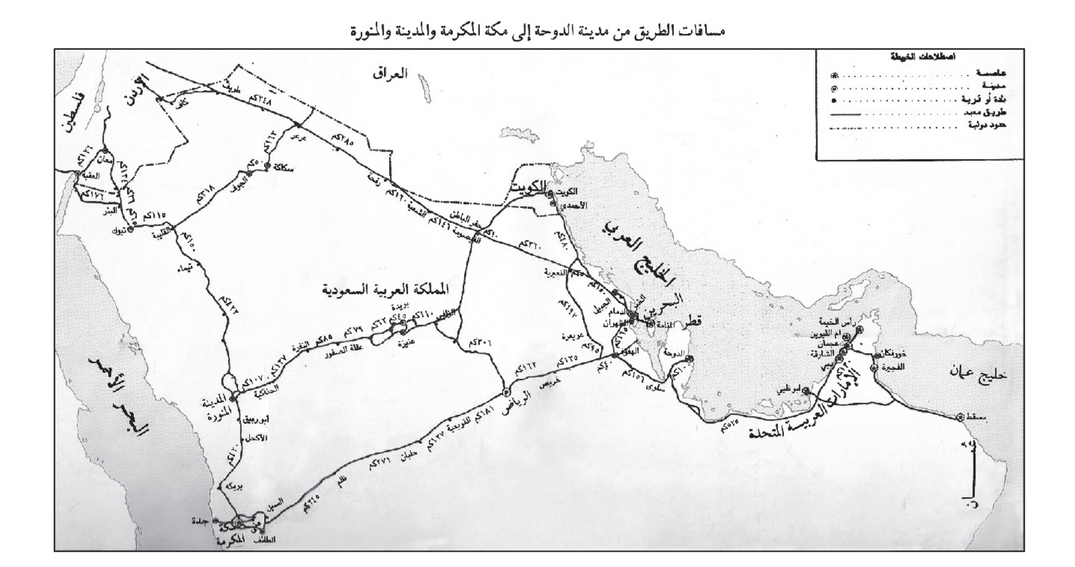
(٣) انظر: عبد الوهاب العسكري، امارة قطر، مطبعة التلغراف، بغداد، د ت. ص ٢٨.



الطريق إلى الأماكن المقدسة







مسافات الطريق من مدينة الدوحة إلى مكة المكرمة والمدينة والمنورة

الطريق من الدوحة إلى الرياض:

كان المقاولون على دراية بأنسب الطرق المؤدية للأماكن المقدسة، ويعرفون أي الطرق يسـلكون، وعادة ما يكـون توفر آبار المياه والكلأ من أهم المحـددات التي يفضلونها، وبناءً على ذلك يختارون الطرق المناسـبة، فضلاً عن توفر الأمن فيها، فالسـير بالمطايا كان يستلزم دراية كبيرة بالطرق وتجنب مخاطر عديدة قد يواجهونها، كما يتعرضون لقطاع الطرق الذين يسـلبونهم متاعهم وأموالهم، بينما كان السـفر بالسـيارات فيما بعد أيسر نسـبياً على الرغم من المفاجآت التي تواجههم من تعطل سياراتهم في أماكن نائية عن العمران، وفي جميع الحالات كانت الاسـتراحات تنتشر في محطات عديدة على الطريق لتقدم لهم الأطعمة والمشروبات.

وقد وصف لي الشيخ عبد الله بن محمد بن جاسم آل ثاني رحلة الحج بقوله:

«كنـا نتوقـف عند بعـض الاسـتراحات، وعـادة ما تكون عـين ماء لسـقي الإبل، والاستراحة لتناول القهوة، وفي هذه الاستراحات، كان كبار السن ومن سبق لهم الحج

من قبل، يستعيدون ذكريات الحج السابقة التي لا تخلو من التندر والطرافة، ومما يذكرون: إنه في إحدى المرات، وبعد أن أخذوا استراحة وغادروا المراح، اكتشفوا بعد مسيرهم لمسافة طويلة أنهم تركوا «يد الهاون» في المراح[١]، وبعد أن استكملوا رحلة الحج ورجعوا في الطريق مروا في المكان نفسه ووجدوا «يد الهاون» على حالها[٢]».

ويكمل:

«وتنطلق الرحلة من أبو سمرة إلى الهفوف ليلاً وذلك في أوقات الصيف، حيث يتوقفون في محطات للتزود بالماء، ومن الهفوف ينطلقون إلى الحسا فالرياض».

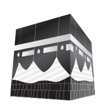

سعادة / عبد الله بن خليفة العطية

ويقول السيد عبد الله بن خليفة العطية: «كانوا يسلكون طريق البريد (درب الساعي)، وفي الصيف عادة كانوا يمشون ليلاً، لصعوبة السير تحت أشعة الشمس، ويستريحون عند مواقع المياه، يمشون ثلاث أيام ويستريحون يوم أو يومين، وهكذا، وكانت نقطة التجمع في الحسا، حيث يغيرون المطايا، وفي الطريق ناس تمرض وناس تموت وناس تولد، وبعضهم يتركونه في الطريق».[٣]

(١) المَراحُ -مَراحُ: الموضع الذي يَرُوح منه القوم، أو يروحون إِليه، خلافُ المَغْدَى. انظر المعجم: المعجم الوسيط.

(٢) مقابلة مع الشيخ عبد الله بن محمد بن جاسم آل ثاني (مارس ٢٠١١م) .

(٣) مقابلة مع السيد عبد الله بن خليفة العطية ، (أبريل ٢٠١٣م).



الطريق من الهفوف إلى الرياض:

حسـب الروايات التي جمعها لوريمـر في مطلع القرن العشريـن (١٩٠٨م)، فإن الطريق من الهفوف إلى الرياض كانت تمر بالمحطات التالية:

«فروق» وتميزها شـجرة أكاسـيا وحيدة في وادي فروق، وبها مراع للجمال من نباتات التـازي[١] والعرفـج[٢]، ثـم «رجـم الشـويعر» وهي تقع عـلى الجانب الشرقـي لصحراء الدهنـاء وتميزها كومة من الحجارة، ثم «أبو جفـان» وهي في اتجاه الغرب وبها مجموعة مـن الآبـار، ومنهـا إلى محطة «ترابـي» وتقع فوق سـهل صحـراء عرمـة، وتنتشر فيها الأحجـار الضخمـة، وبها أربعة آبار ماؤها عذب، وبها أشـجار كثيرة متنوعة يسـتخدمها البـدو في إشـعال النـار، ثم المحطـة التالية وهـي «مياهيه» وبهـا ٣٠ بـئراً ماؤها عذب، وتقـع في سـهل رملي ينتشر فيه الحصى وبها أشـجار كثـيرة متنوعـة[٣]، إلى أن يصلوا إلى الريـاض، ومنهـم من كان يسـتمر إلى مكة حيث تسـتغرق الرحلة حـوالي ٢٣ يوماً، ومن الريـاض إلى مكـة في ١٧ يومـاً، ومنهـم من يـترك المطايـا في الرياض ويأخذ سـيارة إلى مكـة، وذلك في أوائـل القرن العشريـن، وكان الحجيج يمر عبر رمال صحـراء الدهناء[٤]،

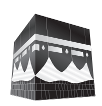
---

(١) نبات ينتمي إلى جنس العنصل.

(٢) نبات شجيري معمر يتواجد في الأراضي الرملية الحصوية المتماسكة.

(٣) انظر دليل الخليج.ج.ج.لوريمر ، القسم الجغرافي ، طبعة جديدة ، ج٥، ص ١٦٣٧و١٦٣٨.

(٤) صحراء الدهناء هي صحراء رملية حمراء في الجزيرة العربية تمتد من النفود شـمالاً إلي الربع الخالي، وهــي عبـارة عن شريط رملي ضيـق يتراوح عرضه ما بين ٤٠ و٨٠ كم ، ويمتد على شـكل قوس من الشـمال إلى الجنوب لمسـافة تزيد عـلى ١٠٠٠ كم بمحاذاة جبل طويق. وتتصـل صحراء الدهناء بين صحراء النفود الكبير في شـمال الجزيرة وصحراء الربع الخالي في جنوبها، كما تشـكل عند الكثير من الجغرافيين الحد الفاصل بين إقليمي نجد والأحسـاء، وتتشـكل الدهناء من كثبان رملية عالية تمتد بشـكل طولي وتسمى «عروقاً»،وتصطدم بها أودية نجد لتشـكل بعد هطول الأمطار تجمعات مائية تتحول بعد جفاف مائها إلى روضات غناء كروضة التنهات وروضة خريم.



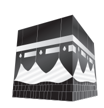
وحزوم الصمان[1]، ولكل منطقة صفاتهـا الجغرافية المعروفة لهم، ومخاطرها؛ فكثيراً ما كانت تتعرض القوافل للسلب والنهب من قطاع الطرق، وكثيرا ما كانت تحدث وفيات بين الحجاج في الطريق، ويتعرض بعضهم للمرض لعدم توافر المستشـفيات لمراجعتها، فكان المريـض منهـم يتألم كثيراً ولا يحصل عـلى دواء، لذا كانت القافلة تسـتعد للحج بالأكفان وأدوات تجهيز الموتى من الطيب والسـدر وأدوات حفر القبور، وفي أي موقع تحدث الوفاة لأحدهم يجري تجهيزه بالغسـل والتكفين ثم دفنه، وبعد ذلك تواصل الرحلة سيرها سواء كانـت ذهابـا إلى مكة أو العودة بعد انتهاء فريضة الحـج، ولا يعلم أهل الحجاج ما حصل لهم في رحلة الحج لعدم توافر وسائل الاتصالات.

ويقول الشيخ ثاني بن خالد:

«أنهم حجوا (١٩٦٦م)، في سيارات شيفر وكابرس حمراء، وكان مع الوالد سيارة مرسيدس، وللنساء سيارة شيفر، ولوري ماركة فورد، وكان معنا بعض نسوان من العلي والباكر، مشينا في الصباح من الدوحة إلى سـلوى ولحق بنا في الطريق مطوع، ثم تجمعنا تحت النخيل في سـلوى، وذهب معنا المودِعوَن إلى سـلوى، وأذكر أن محمد بن راشـد العسـيري قد جاء لتوديعنا وناساً آخريـن لا أذكر اسـماءهم، وعادوا عندما عزمنا على دخول منطقـة التفتيش وأذكر أننا ضيعنا البطاقات الصحية، وكادوا يمنعوننا من الدخول، ولكنهم تفهموا ذلك ووافقوا على دخولنا، لنبدأ المسـير إلى الهفوف، ثم نسـتريح فيها ثم نواصل المسير حتى نصل خريص[2]، وفي أثناء الطريق كنا نتوقف للاستراحة وتناول الفطور، وأحيانا نصلح السيارات، فهذا الطريق كثيراً ما يتعرض لعواصف رملية بسـبب تقلبات الحالة الجوية، وفي الرياض جلسـنا ثلاثة أيام، تزودنا بالطعام والذبائح والحطب وغيره من مؤن، وأصلحنا السيارات ومن الرياض ذهبنا إلى مكة».

(١) الصُّـمَّـان هي هضبة مسـتطيلة تقع في شرق شـبه الجزيرة العربية وتمتـد الهضبة من الربع الخالي جنوبـاً حتى الحدود العراقية شـمالاً وذلك بطول ١٠٠٠ كيلو متر تقريبـاً ويتراوح عرضها بين ٨٠ إلى ٢٥٠ كيلـو مـتر تقريباً، ويبلغ ارتفاع الهضبة ما بين ٢٥ متر عند حافتها الشرقية و٤٠٠ متر عند حافتها الغربية ويحدها من الغرب الدهناء ومن الشرق السـهل السـاحلي للخليج العربي، ويسـمى القسم الجنوبي من الصمان بالصلب والشمالي بالصمان وغالبا مايقع الخلط بينهما.

(٢) خريـص: تقع بين مدينة الهفوف ومدينة الرياض تبعد عن الهفوف ١٦٠ كيلومتر وعن الرياض ١٥٠ كيلومتر.



ويقول يوسف أحمد (١٩٧٠م):

«كانت اســتراحتنا في الحسا استأجرنا منزلاً قديماً من الطين، كانت الأجرة ريالاً واحداً للغرفة؛ حيث سكنت النساء في غرفة، وسكن الرجال في غرفة، وأذكر أن المقاول كان اسمه إرحمة الحســاوي، الذي قام بالذبح لنا، وقام الرجال بالطبخ، وأذكر شكل القدور والنار وكيف كانوا يطبخون بهمة ونشاط، وكان معنا رجل مسن كان يحفظ الكثير من الشعر، فكنا نستمع إليه وهو يروي لنا من شعره، وكان يرتجل، وكنت معجباً بطريقته في الإلقاء وكنت أكتب بعضاً من شعره في دفتري الخاص ولا زلت أحتفظ به».

وفيمــا يلي بيان بالمســافات بــين الدوحــة وكل من مكــة المكرمة والمدينــة المنورة (بالكيلومتر) حسب المسارات الحالية[1]:

طريق مكة المكرمة من الدوحة إلى:	المسافة	طريق المدينة المنورة من الدوحة إلى:	المسافة
سلوى	١٠٣	سلوى	١٠٣
الهفوف	٢٥٩	الهفوف	٢٥٩
خريص	٤٢٤	خريص	٤٢٤
الرياض	٥٨٧	الرياض	٥٨٧
المزاحمية	٦٤٣	عشيرة	٧١٨
القويعية	٧٦٧	بريدة	٩١٧
الرويضة	٨٢١	عقلة الصقور	١١١١
حلبان	٨٦٦	الحناكية	١٣٢٩
ظلم	١١٢٥	الصويدرة	١٣٦٦
الموية	١١٧٩	المدينة المنورة	١٤٣٥
الطائف	١٣٦٩		
مكة المكرمة	١٤٥٧		

(١) التقويم القطري لعام ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢/٢٠١٣م، ص ٢٠١

طريق الحسا – مكة:

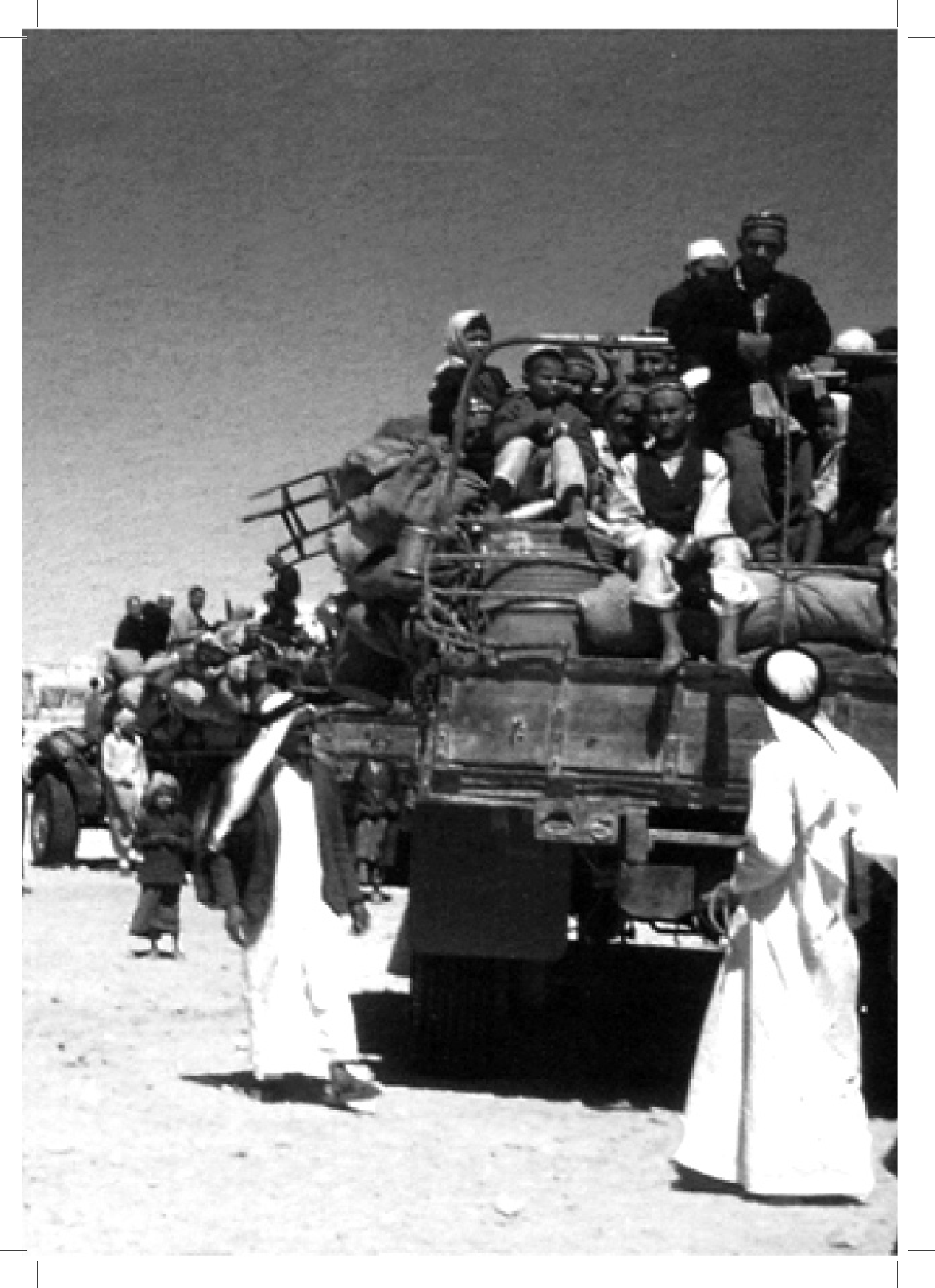
لقد كان طريق الحسا[١] هو الطريق الذي تسلكه جموع حجاج نجد؛ حيث تحتشد الجموع لتخرج متجهة نحو (جود) ومنها إلى (غســان) ثم (دهنا) وبعدها (دحلمي) ثم تتجه القافلة إلى (جبل أبو غراب) ف (ملهم) ثم (جعر) و(ربض) ثم (الدرعية) فـ (الحيســية) و(مرات) وبعدها (الشــعرا) ثم (جنايح) ومن هناك إلى (مرقب) وبعدها (مخنا) ثم (عبل)، ومن هناك مروراً بــ (ذكية)، حتى السيل الكبير. حيث مكان إحرام سكان نجد ومن أتى عليها، فساحة الكعبة المشرفة[٢].

ولقد ذكر لي يوســف أحمد أنهم ســلكوا طريق الطائف، مــروراً بالهدا إلى مكة ثم المدينة المنورة.

المعروف أنه توجد عدة طرق من الطائف إلى المدينة، وكل مسافر له رغباته الخاصة هنالــك طريق من الطائف عــن طريق الهدا لمكة ثم المدينة المنــورة وهنالك طريق من الطائف إلى مكة عن طريق السيل تفرق لطريق الجموم قبل مكة ومعه لطريق المدينة، وهنالك طريق من الطائف لمكة عن طريق الســيل ولكن تواصل إلى مكة ومنها تســلك طريــق المدينة المنورة، وهنالك طريق من الطائف على طريق الرياض للمهد ثم المدينة المنورة.

(١) الأحســاء واحة كبيرة وهي أكبر واحة نخيل عربية، إنها مســاحات هائلة من النخيل ويربو عدد نخيلها على ٣ ملايين نخلة، وهي مترامية الأطراف تحيط بها الرمال من جهاتها الأربع.

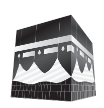
(٢) انظر: أيوب صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، دار الآفاق العربية – القاهرة، ط١، ص ١٩٠





الحج بالمطايا



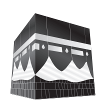


ظــل الحج على المطايا هو الوســيلة الممكنة لأبناء قطر حتــى بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، من الدوحة إلى ســلوى إلى الهفوف، الأحساء، الرياض، مكة، والعودة من الطريق نفسه.

هــذه القوافــل كانت تضم جموعــاً مختلفة؛ ففيها الشــيوخ، والأثريــاء، والتجار، والفقراء والمعدمون من الدراويش، وكان كلٌّ حسب قدرته يرافق القافلة، ففيها الهودج وفيها الجمال، وفيها المرافقون من البدو والحرس والملتحقين بهم.

وكان الحج براً، وعبر طرق غير ممهدة، من رمال وحصى في الطريق، ومتعرجة، مما يترتب عليه سفر لفترات طويلة على ظهور الجمال، وتفضل الإبل لقدرتها على التكيف والعيــش في الصحراء وتحملها للعطش والجوع والقدرة على أكل الشــجيرات المتوفرة في الصحراء ولو بها أشــواك، بالإضافة لقوة بنيتهــا وتحملها للأحمال الثقيلة، كما أن ســيقانها الطويلــة وخفها (بطن القدم) يســاعدها على اجتيــاز الصحاري الصخرية والرملية، لذلك أطلقوا عليها «سفينة الصحراء»، وكانت هذه الإبل منها ما يركب، وهي تمتاز بخفة الحركة والرشــاقة، كما تمتاز بتحملها لمشاق الطريق، ومنها ما يستخدم في الحمــل وتمتاز هــذه الإبل بالقوة الجســمانية وتحملها للأحمــال الثقيلة وتحملها للعطش لمدة ٣ أيام متواصلة ولذلك استخدمت للأحمال.

وقد كان بعض الناس يقومون باستئجار الجمال لحمل مهمات القافلة، ويتعاقدون على ذلك قبل موســم الحج بوقت كافٍ، ويتفقون مع البدو الذين يعيشــون في المناطق التي تسلكها القوافل، لتأمين طريقهم.



وينقل لنا الدكتور يوسف عبيدان[١] رواية أحد المعمرين ممن حجوا بالجمال، وكان ذلك في الثلاثينيات تقريباً من القرن العشرين؛ حيث يقول واصفاً هذه الرحلة:

كانت مع المقاول المرحوم جلمود فقد كان عنده مطايا وجمال لنقل الحجاج من قطر، وقد كانت الأجرة لكل حاج مائة روبية (العملة المستخدمة يومئذ)[٢] بكامل تكاليف هذه الرحلة الطويلة وكان معهم عدد من أهالي قطر رجالاً ونساءً قطعوا المسافة من الدوحة إلى الأحساء في أربعة أيام تقريباً مع التوقف والاستراحة، وواصلوا سيرهم إلى الرياض ثم مكة، وكانت القافلة تتكون من عدد من الجمال محملة بالماء والزاد، وكانوا يطبخون في الطريق. ويستدفئون بنار الطبيخ فقد صادف حجهم وقت الشتاء .وبعد الحج عادوا إلى البلاد سالمين واستغرقت عودتهم نفس ما استغرقت فترة ذهابهم.


الشيخ عبد الله بن محمد بن جاسم آل ثاني
(مارس ٢٠١١م)

يروي الشيخ عبد الله بن محمد بن جاسم آل ثاني[٣] عن رحلته للحج وكانت في نهاية الأربعينيات قائلاً:

كنا نحج على المطايا، رجالاً ونساءً، وكان النساء يركبن داخل محمل (هودج) يوضع على ظهر الجمل، وتتحرك القافلة بعد أن يتجمع أهل قطر وتسير القوافل متلاحقة، يتقدمنا الأدلاء (جمع دليل)، وهو العارف بالطرق وعلاماتها ويستطيع تحديد الطريق بالنجوم أو القمر والجدي وسهيل والثريا[٤] ومعرفة الاتجاه

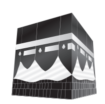
---

(١) رحلة الحج في الماضي، مجلة الجسرة، العدد ١٨ (يناير ٢٠٠٧) نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي، الدوحة، ص ٧٤و٧٥.

(٢) كانت الروبية الهندية تصك في الهند تحت الرعاية البريطانية وعليها صورة ملكة بريطانيا.

(٣) ولد الشيخ عبد الله عام ١٩٢٢م، انظر مذكرات والده محمد بن جاسم غير منشورة «مولد الولد عبد الله بن محمد ولدي في ٩ ربيع الثاني (١٣٤١هـ/ ٢٨ نوفمبر ١٩٢٢م)».

(٤) يتميز أبناء الخليج بمعرفتهم بمواقع النجوم في السماء للاهتداء بها في سفرهم سواء في البر أو البحر، ومن خلال معرفتهم بموقع كل نجم في السماء؛ ولا سيما النجوم الثابتة الظاهرة تمكنوا من أن



والزمــن وقد يتخذ من هذا الدليل إحــدى الذرائع لاتقاء شر قطاع الطرق خصوصاً ما قبل فترة توحيد البلاد.

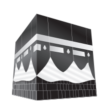


الهودج

كما كان معنا أيضاً حرس ومرافقون، نبدأ المســير ليلاً ونتوقف في الطريق للصلاة والراحة، في بعض الأحيان كان يستوقفنا بعض البدو في أثناء الطريق فنعرفهم بأنفسنا ومــن أيــن نحن وإلى أين وجهتنا، لذلك كان علينا أن نســتأجر معنا من كل قبيلة فرداً نصطحبــه في الرحلة، حتى إذا مررنا بمناطق نفــوذ قبيلة من القبائل يخرج إلينا فرد منها، ويسألون من معكم فيخبرهم الدليل فيعطونا الأمان، ونستكمل المسير، وكان من عادتنا أن نحمل معنا هدايا لإعطائها لهم، ليســاعدونا على متابعة الطريق إلى الأراضي الحجازية، فيقومون بحمايتنا من أي أذى قد نتعرض له من غارات قطاع الطرق، وفي أثناء المسير كان بعض الرجال يرددون شعراً «يهجنون»[١] وينشدون.

يعرفوا الجهات الأربع، ومن ثم الاهتداء بها في سيرهم وبالتالي ابتعادهم عن خطر الضياع في الصحراء أو في البحر.

(١) من هجن بمعنى جمع فيها بين الأسلوب الروائي والشعري.



وعندمــا نصل الرياض كنا ننــزل ضيوفاً على الملك عبد العزيز، الذي كان يحســن استقبالنا ويقيم لنا مأدبة عشاء تعبيراً عن إكرامنا، ونسلم عليه وننقل له سلام شيوخ قطــر، ويعطينــا المطايا، وفيما بعــد كان يعطينا الســيارات، وبعد أن يكــرم وفادتنا وننتهي من عزومات وجهاء الرياض، نستأذن من الملك لمواصلة المسير.

كانت رحلة الحج بمجملها تســتغرق مدة طويلة تمتد إلى بضعة أشــهر في الذهاب والإياب، وفي حالة التعجل كانت تقتصر على شــهرين أو ثلاثة أشــهر، وعلى الرغم مما كنا نواجهه من مصاعب إلا أن كل ذلك ننساه عندما نصل إلى الأماكن المقدسة، ونلتقي مع إخوة مسلمين جاء بعضهم من أماكن نائية راجلاً، فقد كان الكثير من إخواننا من الهنود والعجم يأتون إلى الحج مشياً على الأقدام.

إن السبل لم تكن ميسرة وسهلة في الماضي لبلوغ الحج بينما هي اليوم بخلاف ذلك، ولا شــك في أن كثيراً من المصاعب تكتنف الحاج في طريقه إلى الأماكن المقدسة لعل من أهمها عدم توفر الأمن وهو الهاجس الأكبر لدى الحجاج. ويليه الزاد والمؤن اللازمة من الشراب والطعام.



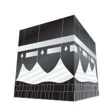
الشيخ علي بن جاسم آل ثاني

ومن أشــهر من حج على الأبل من قطر الشيخ علي بن جاســم آل ثاني وأبنائه، وكان ذلــك عام ١٣٤٦هـ، وكان بمعيته الوجيه الشيخ قاسم الدرويش[١].

ويذكر لي الشــيخ ثاني بن خالد بــن ثاني، «أن جده ثاني بن جاســم، حج في العام ١٩٣٥م، وكان مسناً [٢]، فكتب وصيته، وجاء أخوه الشــيخ عبد الله بن جاســم،

(١) عمر تهاني: صفحات مضيئة من حياة الوجيه الشــيخ قاسم بن درويش فخرو، الدوحة: مركز شباب برزان، ٢٠١٣، ص ٧٢

(٢) توفي الشــيخ ثاني بن جاسم في ١١ شوال ســنة ١٣٦٦هـ/ ٢٨ الخميس أغسطس ١٩٤٧م.، ويقال إنه ذهب لزيارة ابنته حمدة زوجة الشيخ علي بن عبد الله، وكان عندها ثلاجة، ومن شدة الحر قدمت له ماءً وكان مثلجاً وعندما شربه أخذ يسعل، وتوفي متأثراً به، ودفن في مقبرة الغرافة.



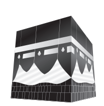
ليودعه وخشي عليه ألا يرجع من الحج، وحدث في هذا العام أن تعرض الملك عبد العزيز لمحاولة اغتيال قام بها أربعة يمنيين بينما هو يطوف طواف الإفاضة في ١٠ ذي الحجة ١٣٥٣هـ/ ١٦ ديسمبر ١٩٣٥م، وكان ابنه سعود خلفه في ذلك الوقت، وقام بافتداء نفسه لإنقاذ حياة أبيه، وعرّض نفسه للموت بدلاً عنه، وتعد هذه التضحية مضرباً للمثل في الحب والتفاني من ابن لأبيه، وقد ذكر شهود العيان بأن سعود قد رمى بنفسه فوق أبيه حمايةً له، وتلقى الطعنات في كتفه وظهره.

وعندما عرف الجد ثاني بهذا الحادث ذهب إلى الملك عبد العزيز ليسلم عليه ويسأل عن صحته، وكان في مجلسه بشر كثير من الحجيج الذين فزعوا للاطمئنان عليه، ولقد اتم الجد ثاني الفريضة، وكانت عودته من الحج في هذا العام حدثاً عظيماً في قطر، ولقد حرص حاكم البحرين وكانت تربطه بالشيخ ثاني علاقة محبة أن يسأل عنه، للاطمئنان عليه».



الحج بالسفن





الحج بحراً:

على الرغم من أن شـبه جزيرة قطر تشـكل امتداداً جغرافياً لأراضي شـبه الجزيرة العربية، إلا أن الطريق البري الذي يصلها بالأماكن المقدسـة، كان شـاقاً وعسيراً، فقد كانـت معظم الطرق المؤدية إلى مكـة والمدينة غير معبدة، كما كانـت الأجواء المناخية في الجزيرة العربية في وضع شـديد الصعوبة، خاصة في أشـهر الصيف حيث الحرارة المرتفعـة والرطوبـة المرتفعـة ونضوب ميـاه الآبار التـي يرتادونها تشـكل جميعها صعوبات بالغة.

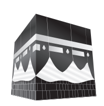
فقد كان عبور صحراء الجافورة[١] إلى الأحســاء محفوفــاً بالمخاطر؛ فهي صحراء واسعة جداً، رملية صعبة المسالك، ولغزارة رملها يصعب السير فيها.

وفي حالات افتقاد الأمن في الطريق البري لسبب أو لآخر كاندلاع الحروب بين القبائل، كان أهل الخليج يحجون عن طريق البحر في بواخر (محمل)[٢].

---

(١) الجافورة: بضم الفاء، وتحد الجافورة من الغرب بمنطقة الأحساء فمرتفعات الأغوار فبرقاء الضمران فواحـة يبريبن والخن الواقعة في طرفها الجنوبي الغربي أمـا من الشرق فتتصل برمال الربع الخالي ويحدها شمالا ساحل البحر الممتد من جنوب العقير.

(٢) قد تكون من نوع «البغلة». وهي من السفن القديمة الكبيرة الحجم تستعمل للتنقل بين مواني الخليج العربـي والهند وباكسـتان وتمتاز بمؤخرتها العريضة حمولتها مـا بين / ١٥٠ / الى / ٤٠٠ / طن. وأصل هذا المركب لا يزال مجهولا حيث لا توجد أدلة على وجود البغلة قبل القرن التاسـع عشر إلا أن بعض المؤرخين يرى أن العرب اقتبسوا تصميم هذا المركب عن السفن البرتغالية الضخمة التي يرجع تاريخ إبحارها في مياه الخليج إلى ما يقرب من / ٤٠٠ / سنة.



تبحـر إلى بومبـي مروراً ببو شـهر والبحرين وقطر ودبي وبندر عباس ومسـقط وكراتـشي، ومـدة الرحلـة إلى بومبي عشرة أيام ثـم الإقامة أكثر من أسـبوع بانتظار السـفن المغادرة إلى ميناء جدة، والتي تمـر بطريقها بعُمان ثم المكلا وعدن وبربرة في السـاحل الأفريقي، وأخيراً تصل إلى جدة وتسـتغرق هذه الرحلة عشرة أيام، وكثيراً ما يحصل لهم من غثيان وأمراض لم يعرفوها من قبل.

ولقـد روى لي عبـد الرحمن المسـلماني: «أن والـده عبد الله بن جاسـم بن محمد المسـلماني ومعه عدد من أهل قطر، قد حجوا عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٣ م بالبحر؛ حيث استقلوا لانش من الدوحة إلى البحرين، ومنها استقلوا مركباً كبيراً توجه بهم إلى موانى الخليـج ومنها إلى كراتـشي[١] وبمبي في الهند، وخلال رحلتـه تلك يصطحب الحجيج ليعود بهم إلى بحر العرب ومنها إلى البحر الأحمر إلى أن يصلوا ميناء جدة، حيث يكون في استقبالهم مندوب عن شريف مكة ليرحب بهم ويسلم عليهم».

كما حج الشـيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وهو في الثالثة والعشرين من عمره أي في عـام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩) برحلته إلى مكة لأداء فريضة الحج، فغادر مدينة الخور مع مجموعة من أبناء قطر على متن سفينة متوجهة إلى مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية، ومنها استأجروا اللوري الذي نقلهم إلى مكة.

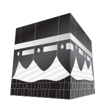
وكانت الرحلة في ذلك الوقت شـاقة ومحفوفة بالمخاطر إضافة إلى الحر والشـمس وتعب الجلوس في اللوري، وكان السـفر يسـتغرق من الخبر إلى الرياض ٦ أيام ومن الرياض إلى «بيار علي» ٨ أيام.

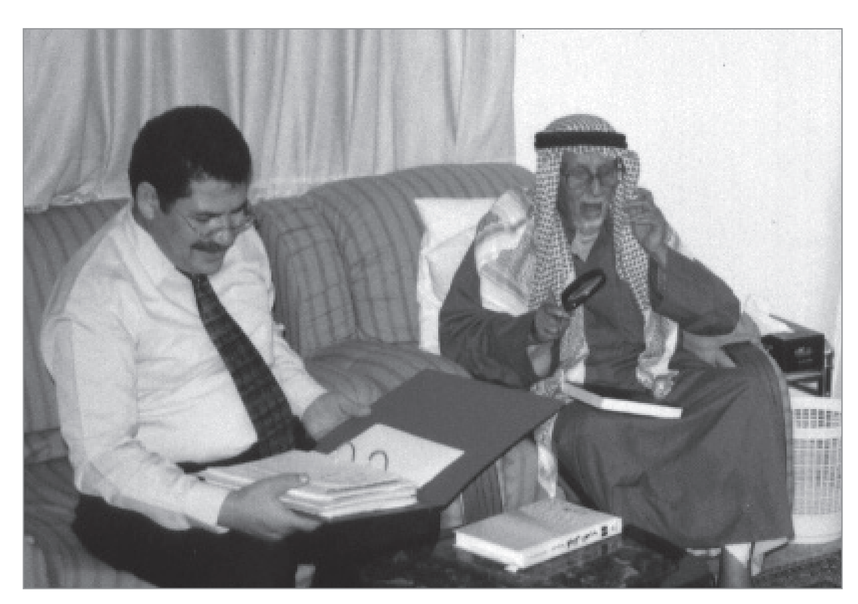
ويروي الشيخ جاسم بن ثاني بن جاسم[٢] عن أبيه ثاني بن جاسم ذكريات رحلته للحـج حوالي عـام ١٨٧٤، حيث حـج في هذا العام الشـيخ ثاني والشـيخ خليفة ابنا

---

(١) كراتشي: ميناء باكسـتاني مهم يقع على سـاحل بحر العرب، شـمال غرب دلتا نهر إندوس (نهر سند كما يقال في اللغة الأردية).

(٢) في مقابلة تمت معه يوم ٢٣ مارس ٢٠١١.





الشيخ جاسم بن ثاني بن جاسم آل ثاني ومعه المؤلف (يناير ٢٠٠٥)

الشـيخ جاسـم بن محمد بن ثاني، وربما كان الشيخ جاسم نفسه يرغب في الحج هذا العام، ولكنه عدل عن ذلك لأسباب تتعلق بأمور تهم إدارة البلاد آنذاك، وهو ما أشارت إليه بعض الوثائق البريطانية، إذ جاء في رسـالة أحمد آغا الوكيل في البحرين إلى المقيم البريطاني بتاريخ ٨ ديسـمبر من عام ١٨٧٤م، يخبره باعتزام جاسم الذهاب إلى مكة براً من أجل الحج [١]، بينما أشـار في رسالة مؤرخة في ١٢ ديسمبر ١٨٧٤م، بأنه عدل عن نيته الذهاب إلى مكة [٢]، وما يؤكد ذلك ما رواه ابنه ثاني بأن والدهما الشيخ جاسم جاءهـم ليودعهمـا في الميناء، وكان معهما حرس وخدم منهم رجـل يدعى عيلان أبو تاكـي كان يعمل لديهم بأجر، لكي يعتني بهما إذا ما أُصيب أحدهما بمرض الجدري الذي كان شـائعاً آنذاك، فالمعروف عندما يصاب إنسـان بالجدري، ويشفى تحدث له حصانة، فـلا يصاب ثانية، لذلك اصطحبوه معهما حتـى إذا ما أُصيب أحدهما يقوم عيلان برعايته والسهر عليه.

وفي عام ١٢٩١هـ (١٨٧٤م) حج من قطر جبران بن محمد بن بحر وولده بحر بن

(1) From Ahmed Agha To Residence – L/P&S/9/25 p. 657 .(No: 170)

(2) From Ahmed Agha To Residence – L/P&S/9/25 p.662 .(No: 176)

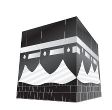
جبران بن محمد بن بحر البوعينين، ومعهما إبراهيم بن سالم المعاضيد. ومعهم حوالي خمســين حاجاً من أهل الدوحة، وغرقت مركبهــم ومات جميعهم، وكانت مركبهم من نوع البوم[١].

of the above. The boat has returned
and the report had no foundation.
I heard that Nasir Muntefij
wrote to Jassem bin Thanee and
desired him to send 1,000 Camels and
some of the Arabs: He replied that
Camels could not be obtained and
the Arabs also could not go by
land. They fear the Naeem and the
people of Zobarah.
I have heard that Jasim bin
Thanee intends going on a pilgrimage
to Mecca by land, and some say
he has left.
True purport
Signed/ A.J. Constantine

True Copy
E.A. Fraser Lt
Assistant Resident
Persian Gulf

L/P&S/9/25
p.657. (No: 170)

(١) نقلاً عن أحمد بن غنام البوعينين عن مذكرات الشيخ حسن بن عبد الله بن جاسم، المعروف أن جبران بن محمد بن بحر البوعينين، هو جد الشيخ حسن بن عبد الله بن جاسم لأمه.



ويضيف الشــيخ جاســم بن ثاني: وحجت عمة الوالد عائشة بنت محمد بن ثاني، أخت جدي الشــيخ جاســم بن محمد، في محمل (ســفينة) آخر كان مخصصاً للنساء، وكانــت مريضــة، وازداد عليها المرض في أثناء الســفر وتوفيـت في الطريق، وربما تم دفنهــا في جزيرة ســوقطرة اليمنية، بينما كان المعتــاد أن يلقى بالمتوفى في مياه البحر، ولكن شــاء الله أن يكونوا بالقرب من الجزيرة، عموماً فإن هذه الرحلة كانت محفوفة بالمخاطــر من جراء أهوال البحــر الأحمر عندما كانت تهب عليهــم الرياح فتتقاذفهم الأمواج العاتية.



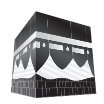
عون الرفيق
تصوير سنوكهروجرونية ١٨٨٥م

وعندما وصلوا إلى الأراضي الحجازية توجهوا للسلام على شريف مكــة (عون الرفيق)[١]، وأخــبروه بأنهم من قطر، وجاءوا عن طريق البحر، وســيعودون عن طريق البر، ونصحهما بشراء ناقة ســمينة لها سنام لأن بلادهم بعيدة فتتحمل العطش. واســتأذنوا لتأدية الشعائر مع رفقائهم.

فخيمــوا «بمنى»، ومن ثم الذهــاب إلى «عرفة»، حيث يجلسون في العراء، فلا خيام ولا منازل تؤويهم فالأرض فراشهم والسماء لحافهم، بعد ذلك يبيتون في «مزدلفة»، وإذا أصبحوا ذهبوا إلى «منى» لرمي «جمرة العقبة» ونحر الهدي، وكانت قيمة الهدي آنــذاك «ثلاثة ريالات» فيأكل الحجيج مــن هديهم، وبعد إتمام الحج يعمد الحجاج إلى تجفيــف اللحوم المتبقيــة من لحوم الهدي، وذلك بتشريح اللحــوم وإضافة الملح إليها ليبعــد الماء ويسرع في تجفيفه، ويســمى اللحــم المجفف «القفــر» فيأكلونه في طريق العــودة، وقد يتبقى قليل منه ليأكله العائدون إلى ديارهم مع أهاليهم ويكون له طعم ومذاق خاص لا ينسى.

---

(١) الشريف عون الرفيق باشــا بن محمد بن عبد المعين بنو عون، كان حازماً عاقلاً، ووطّد الأمن إلى درجة لم يسبق مثلها في الحجاز.



ويستكمل الشيخ جاسم روايته عن والده الشيخ ثاني بن جاسم:

وبعد أن أتموا شـعائر الحج، اشـتروا الإبل، وغادروا مكة إلى الرياض حتى وصلوا عند سعود بن فيصل، الذي أكرم وفادتهم وأهداهم فرسين «الوذنة والحرقة» وترددا في البداية في أخذهما ولكنه أصر عليهما، فأخذوهما كما أعطاهما رمحاً مريوشاً (مريشاً) يعلـوه ريش نعام، وعرض عليهما أن يمدهما برجال لحمايتهم في الطريق ونصحهما إذا أخـذوا معهم رجالاً للحماية أن يأخذوا من آل حسـن من الـدواسر، ومضوا إلى أن وصلوا إلى بئر ماء معروف بماء «أبو جفان»[1] شمال مفازة الدهناء وبها مجموعة آبار من ١٥ بئراً بها ماء حلو غزير[2].

وأكملوا مسـيرهم إلى أن وصلوا محلاً للعجمان عند ليل المتلقم[3] وهو من شـيوخ قبيلـة العجمان فأكرم وفادتهما وذبح لهما ولمـن معهما ذبائح، وأخذ من دم الذبائح بكفه ووضعه على رقاب المطايا، وعندما قالوا له لماذا تفعل ذلك قال لهم:

«أريدكم إذا مررتم على أحد يعرف أن لكم كرامة فيكرمكم».

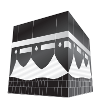
لقد واجهت رحلةُ تنقلات الحجاج خلال تلك الفترة الكثير من المتاعب والصعوبات؛ حيث كانوا يتنقلون عبر الطرق البرية مرتحلين فوق (الجمال والحمير والبغال).

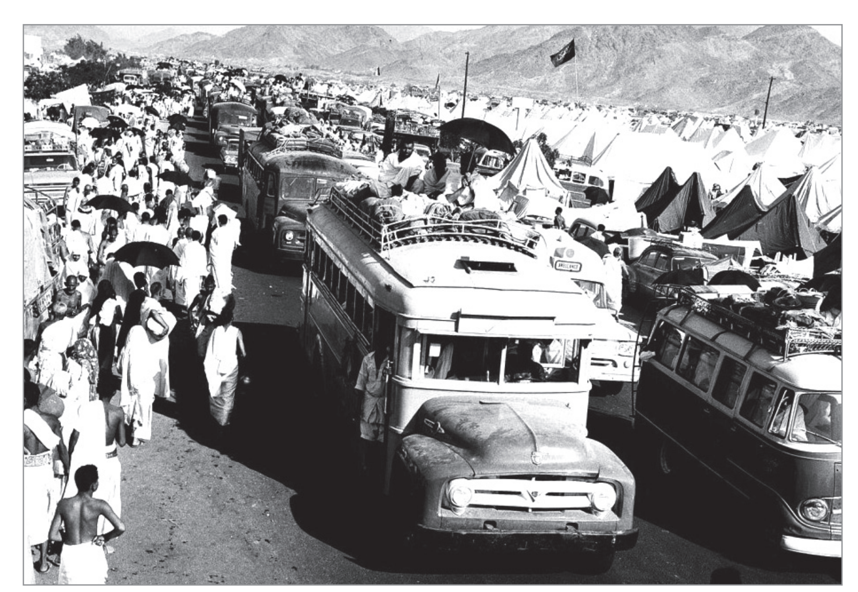
---

(١) مورد ماء قديم من الموارد التي تردها البادية في منطقة العرمة الجنوبية ويرده المسافرون من الرياض إلى الأحساء.

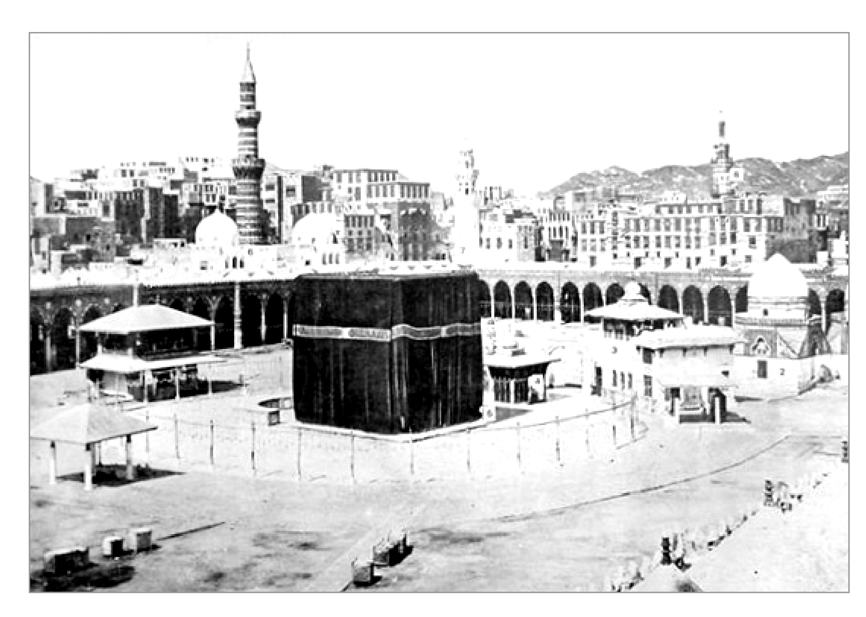
(٢) انظر: دليل الخليج. ج. ج. لوريمر ، القسم الجغرافي ، طبعة جديدة ،ج٥، ص ١٦٣٧م.

(٣) ليل المتلقم من شـيوخ قبيلة العجمان وفرسـانها المشهورين، خاض حروباً ضد تركي بن عبد الله بن سعود.





الصعود إلى عرفات



صورة للحرم المكي
حوالي عام ١٩٥٠م

أمن الطريق:

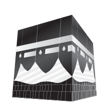
كانت شبه الجزيرة العربية قبل توحيدها على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (رحمه الله) عبارة عن قبائل ومشيخات متنافرة تسودها الفوضى، ولا يأمن الناس فيها على أموالهم وأنفسهم لكثرة السلب والنهب والسرقة وقطع الطريق، وكان أعظم المتضررين من فقدان الأمن في شبه الجزيرة العربية هم حجاج بيت الله الحرام؛ فقد كانوا عرضة لقطاع الطرق وغارات القبائل التي تمر قوافلهم بها.

فقد كان الحجاج يأتون إلى الأراضي المقدسة إما عن طريق البر، أو عن طريق البحر، فأما الذين يأتون عن طريق البحر فيصل بعضهم إلى جدة، ومنها يتجهون إلى مكة المكرمة، إما سيراً على الأقدام أو ركوباً على الجمال والبغال والحمير والخيل، ثم يتجهون إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول ﷺ بعد أدائهم فريضة الحج.

أما البعض الآخر منهم فيصلون إلى ينبع، ويتوجهون منها إلى المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي الشريف، ومنها إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.

وكانت هذه بالإضافة إلى أنها الطرق غيرَ مُعبَّدة ومملوءة بمتاعب ومشكلاتِ كثيرةٍ، فإنها كانت تفتقد لمقومات الأمن .

وقد تعددت مصادر تلك المتاعب والمشكلات في الطريق؛ فمنها ما يقاسيه الحاج



من الجمالة أنفسهم، ومنها ما يقاسيه من البدو، ومنها ما ألقته الظروف الطبيعية في وجهه من الحرِ وندرة الماء ووعورة الطريق(١).

وكان الحجاج يسلكون بين جدة ومكة طريقاً واحداً، وأما سيرهم من مكة المكرمة إلى المدينــة المنــورة أو من المدينــة المنورة إلى مكة فــكان في واحد مــن أربعة طرق(٢). والحجاج الذين يأتون عن طريق ينبع كانوا يســيرون منها إلى المدينة في أحد طريقين يؤديان إليها.

وكان الطريق بين جدة ومكة عبارة عن وادٍ رملي إلا في موضعين منه؛ إذ يوجد حصى بين صغير وكبير، ولكن ذلك لا يشغل من الطريق إلا حوالي نصف ميل، وقبيل مكة بنحو أربعــة أميال كان يوجد مدرج حجري مرتفع قليلاً، ثم بعده يســتوي الطريق وتكثر فيــه التعريجات حتى يخيل إلى الناظر أن الطريق مســدود لاقــتراب الجبال المواجهة. والــوادي تحفه من الجانبين الجبال والتلال التي تتقارب تارة، فيضيق الوادي، وتارة أخرى تتباعد، فيتســع، وفي الطريق بضع عشرة مقهى لراحة الحجاج، وتقديم الشاي والقهوة لهــم مع وجود بعض القلاع التي كانت تحوي الحاميات العســكرية لحماية الطريق والحجاج والمســافرين من اعتداءات القبائــل، وعندما يصل الطريق إلى بحرة يتفرع منها طريق آخر إلى مكة يسير نحو الجنوب الشرقي يقال إنه أقرب وأسهل من الطريق الشــمالي الذي يســلكه أغلب الحجاج، وينتهي الطريق في المحطة الأخيرة التي كانت تعرف بقهوة المعلم بجرول، وهي المحطة السابعة عشرة من جدة إلى مكة، وهنا كان ينتظر المطوفون الحجاج لاستقبالهم(٣).

وتســير القوافل المتجهة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في واحد من أربعة طرق

---

(١) رفعت، إبراهيم: مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشــاعره الدينية، طبعة أوفســت، دون ت، م ج٢ ص ٢٥٦.

(٢) البتنوني، محمد لبيب: الرحلة الحجازية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٢٦٩.

(٣) رفعت، إبراهيم: مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشــاعره الدينية، طبعة أوفســت، دون ت، ص٢٤ـ ٢٥

بحسب تبعية المقوم والجمالة، و هذه الطرق هي: الطريق السلطاني، الطريق الفرعي، طريق الغاير، الطريق الشرقي[١].

ويصف الكاتب والمؤرخ أمين الريحاني[٢] تحول الحالة في جزيرة العرب من الخوف والظلم والنهب والسرقة إلى الأمن والرخاء في تلك الفترة فيقول: «إذا كان العدل أساس الملك، فالأمن أول مظهر من مظاهر العدل».

ويؤكـد كلامه بقوله: «إن المســافرين من قُطرٍ إلى قُطر، وفي القوافل تســير أربعين يومــا في ملك ابن ســعود من طرفٍ إلى طـرفٍ، من القطيف مثـلا إلى أبها، ومن وادي الدواسر إلى وادي السرحان، دون أن يتعرض لها أحد من البدو أو الحضر».

ويضيف قائلا: «إن القلاع التي بناها الترك في الطريق إلى الحسا هي اليوم مهجورة متهدمة، فالقوافل تســير ثمانمائة ميل شرقا وغربا ومثلها جنوبا وشــمالا في ملك ابن سعود، وهي تدعو له بطول العمر وشكر الله».

وإجمالاً فإن السفر في حد ذاته كان يشكل خلال القرون الماضية، وحتى ثلاثينيات القــرن العشرين، وقبل أن يوحد الملك عبد العزيــز المملكة، مخاطرة كبرى، فضلاً عما كان يتعــرض له الحجيج من نهب للمال ولمقتنياتهم، وتعرضهم في بعض الأحوال إلى القتل من قبل قطاع الطرق الذين كانوا يفرضون إتاوات على قوافل الحج ولا تأخذهم بهم رحمة أو شفقة.

---

(١) البتنوني: المصدر السابق، ص٢٦٩

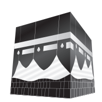
(٢) أمــين الريحانــي: ملوك العرب. رحلــة في البلاد العربية، دار الجيل – بــيروت، الطبعة الثامنة –١٩٨٧ م.ص ٤٢٠-٤٥٣





الحج بالسيارات

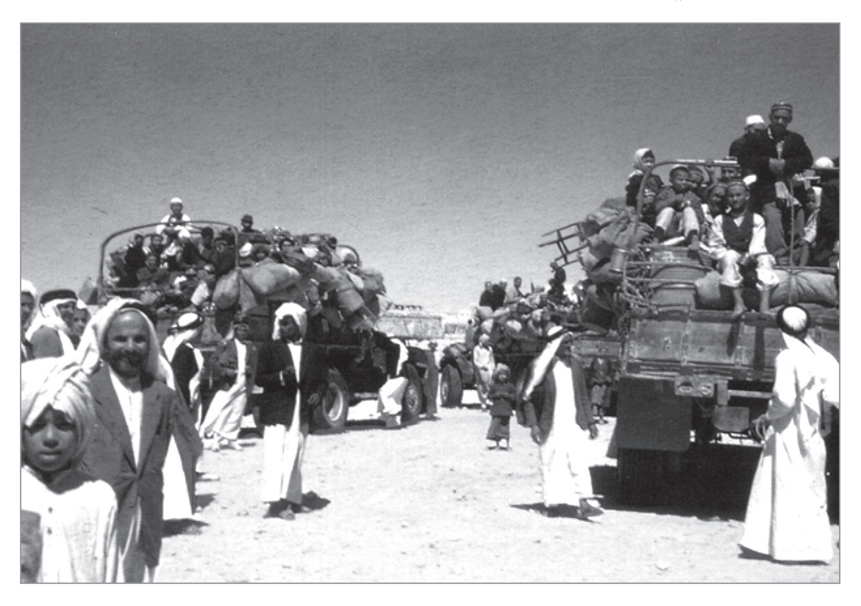




الحج بالسيارات:

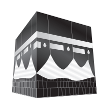
يعد ماجد بن ســعد آل ســعد البوكوارة من أهل الوكــرة (المتوفي عام ١٩٣٦م) من أوائل من حج بالســيارة، ففي أوائل الثلاثينيات اشــترى ثلاث ســيارات من البحرين وجلبها إلى الوكرة وذهب فيها مع أهله وجماعته إلى الحج، وبعد رجوعه أهدى سيارتين لأصدقائه وأبقى سيارة واحدة من نوع «البيك أب»[١]

ومع ذلك استمرت المصاعب والمشاق، ولكن بطريقة مختلفة، نتيجة عدم وجود الطرق المعبدة المليئة بالأتربة والتي كثيراً ما كانت تعيق الرحلة، لذلك فإن سلامة السيارة كان من أهم ما يتم التأكيد عليه، لأن أي عطل في السيارة في الصحراء سوف يعرض المسافر للخطر



التجهيز للانطلاق من الدوحة في خمسينيات القرن العشرين

(١) انظــر مجلــة الريان، العدد ٥٠ (ابريل ٢٠١٢) مقال بعنوان: الوجيه ماجد بن ســعد آل ســعد، بقلم، عيسى النصر، ص ٢٠



وخاصــة من قطاع الطرق الذين كنا نســمع عنهــم أنهم يهاجمون القوافل ويســلبونها، وكذلك يجب الاحتياط وتوفير كميات كبيرة من الماء للاستعمال على الطريق.

ومن الرياض يتم تغيير الســيارات بســيارات أخرى، كانت الأجرة خلال الأربعينيات حوالي مائة ريال تقريباً ويقوم صاحب السيارة بأخذ الحجاج في سيارة تسمى لوري«Laurie » وعادة تكون من طابقين حيث يخصص الطابق الأعلى للرجال ويتخذ النساء الطابق الأسفل.

وهذه الســيارات تأخــذ الركب من مواقع معينة أشــهرها «محلة دخنة»، و«محلة ســلام» لتنطلق قوافل السيارات بالحجيج، مروراً بوادي نمار المؤدي إلى جهة «ديراب» ومنها تتجه إلى مكة المكرمة.

وفي ذلك يقول الشيخ جاسم بن ثاني:

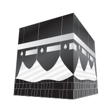
«أما عن أول حجة لي أنا، فقد كانت مع والدي ثاني وأخي الأصغر خالد ومجموعة من أهلنا، وكان عمري آنذاك ١٥ عاماً تقريباً (١٩٣٢م) وكان معنا عدد من المرافقين من أهل قطر.

وعندما وصلنا إلى الرياض قابلنا الملك عبد العزيز آل ســعود، وأعطانا سيارات لوري «خشم الجاوة» ماركة شــيفر لنحج فيها، كما أعطى والدي «ثاني»سيارة صالون، وفي الطريق تعطلت الســيارة فأغاثنا أمير منطقة «رابغ»، وهو من قبيلة «حرب» بالقرب من جدة، وبعد ذلك دعانا إلى منزله، وذبح لنا الذبائح ولا زلت أذكر ثيابه وعليها بقع دم الذبيحة.

ورابغ تقع على شــاطيء البحر فيما بين ينبع البحر وجدة، وهي محاطة بالبساتين وأشجار الموز والنخيل، واسترحنا فيها يوماً وشاهدنا العديد من الحجاج القادمين من مصر والشام».

وفي الستينيات من القرن الماضي أذكر أن السيارات كانت تقطع المسافة بين الرياض وصولاً إلى بلاد الحجاز لمدة ثلاثة أيام وربما أكثر حســب وعورة الطريق أو ســهولته؛ حيث تتعرض بعض السيارات للأعطال.

ويذكــر الدكتــور يوســف عبيــدان : كانــت الســيارات المســتخدمة في الرحلــة مــن



قطـر مـن نـوع السـيارات الكبـيرة الحجـم تسـمى «الدمنتـي»(١) وهـي قويـة في حجمها وعجلاتهـا لتقـوى عـلى الصمـود ومقاومـة الطـرق، وكان يملكهـا صاحب الحملـة ويدعى «حمد بن طرجم(٢)»، رحمه الله، وقد شـاهدنا في هذه الفترة كيف كانت تقف هذه السـيارات بالقرب من مصـلى العيد بالجسرة ومطارات (حاويات) الماء معلقة عليها ولا يوجد بها كراسي وإنما يجلس الركاب على متنها ويفرش عليها السـجاد، ويوضع ساتر بين الرجال والنساء ثم جاءت سـيارات كبيرة جداً على شـكل باصات ذات نوع متميز مقاعدها أشبه بمقاعد الطائرة، وكان قوامها عدة سيارات تابعة لشركة العم «صالح الحمد المانع» رحمه الله، وكم كان جميلاً لو كان هناك احتفاظ بهذه السيارات لأنها تعبر عن الماضي التليد، وكان منطلقها من محطتها بالقرب من جسر الجيدة وكراج المانع، حيث لم تكن هناك بعد بنايات أوعمران، فيذهب الناس هناك لتوديع الحجاج واستقبالهم عند سفرهم وعودتهم.



بعض الحجيج القطري بعد الإحرام

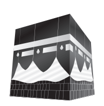
(١) «دمنتي» كلمة باللهجة المحلية مشتقة من أصل الاسم لهذا الطراز وهي دايمند تي (Diamond T)، وهو نوع أو طراز من السـيارات كان معروفاً آنذاك ولم يعد له وجود الآن ولعل تلك الشركة انتهت وخرجت من السـوق أو اندمجت مع شركة أخرى وتغير اسمها. وهي شاحنة كبيرة وعرفت بقوة تحملها للأحمال الثقيلة وقوة محركها على تحمل شـق عباب الطرق الرمليـة التي كان يضربها في الصحراء ناقلا تلك الأحمـال وكانت الدمنتي مميزة بصوتها القوي الذي يسـمع من بعد عدة أميال ولعلها السـيارة الأعلى صوتا بين جميع السيارات وتلك الشاحنة المشهورة ربما أنتجت للاستخدام العسكري واستخدمتها الجيوش وبعد الحرب بيعت للناس كرجيع وربما كان هذا سر قوتها وقوة تحملها للطرق الرملية والوعرة كونها سيارة عسكرية.

(٢) حمد بن طرجم آل عويمر الدوسري.



حملات الحج القطرية





أوائل حملات الحج القطرية (القرن العشرين):



الشيخ
علي بن عبد الله آل ثاني

كان الشــيخ عــلي بن عبـد الله آل ثانــي أمير قطر في الفــترة مــن ١٩٤٩-١٩٦٠م أول مــن فتح مراكز للحجاج، فأقام في طرف الدوحة مكانًا لتجمع الحجاج قبل ذهابهم، وكذلك أقام في طريقهم ما يحتاجونه من مســاجد وخدمات كثيرة، وكان يشرف عليها الشــيخ عبـد الله بن إبراهيم الأنصــاري رحمه الله وغيره من المشايخ.



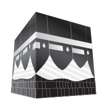
غلاف كتاب
رحلة الحج وما يلزم فيها

وطلب الشــيخ علي رحمه الله من الأستاذ عبد البديع صقر[1] تأليف رسائل لتعليم الناس الحج وآداب السفر وغــير ذلـك، فألف رحمه الله رســالة (رحلــة الحج وما يلزم فيها)[2]، وانتهى منه في عصر الشــيخ أحمد بن علي الذي دعم طباعته على نفقته الخاصة، ونشر الكتاب وتم توزيعــه على أبناء قطر كهدية من حاكم قطر إلى حجاج بيت الله الحرام وزوده بمخططات الأمكنة المقدسة.

---

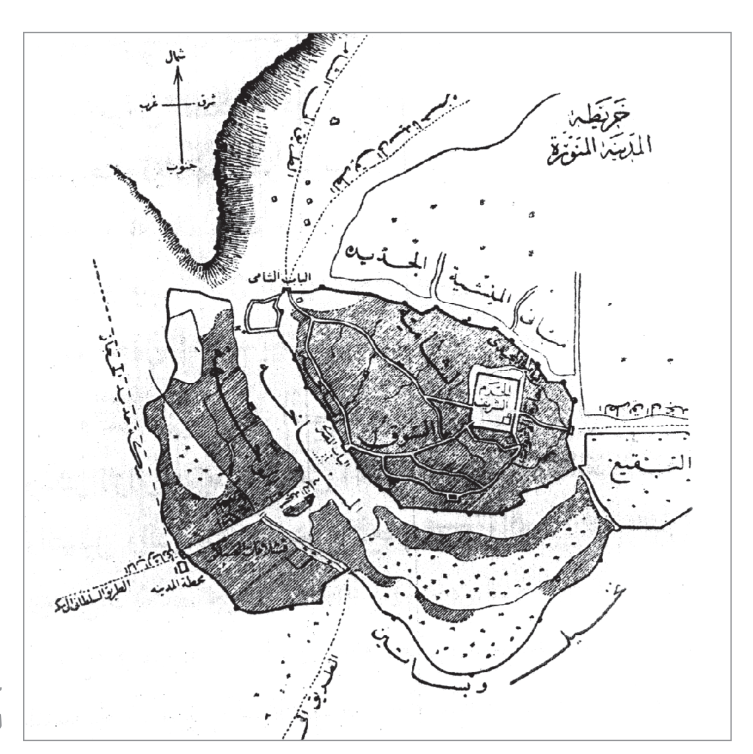
(١) انتقل -رحمه الله - إلى جوار ربه مساء السبت ١٢ من ربيع الأول ١٤٠٧هـ، الموافق ١٣/١٢/١٩٨٦م في مصر.

(٢) وقفنـا عـلى نسـخة منه في مكتبة الـتراث العربي والإسـلامي (المكتبة الوطنية بمؤسســة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع).



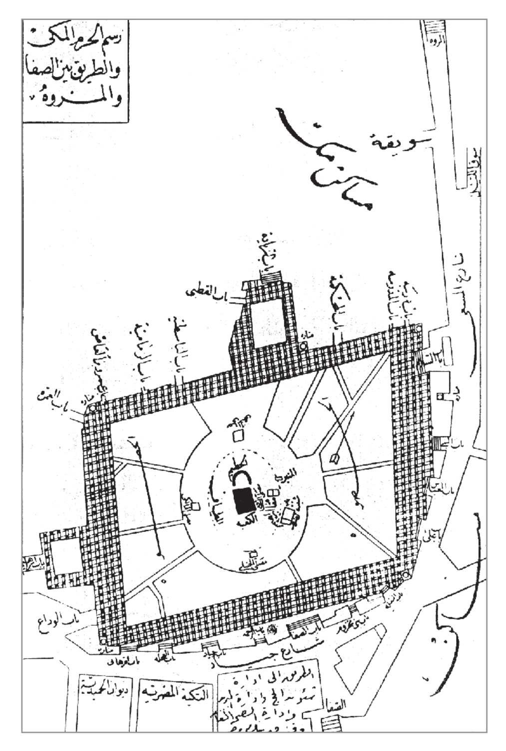
وجاء في المقدمة:

« كتـب الحج والمناسـك كثـيرة، وإنما دعانـا إلى وضع هذه الرسـالة الصغيرة ما لاحظناه من حاجة الناس إلى مرجع بسيط هو أقرب إلى وصف الرحلة وترتيب أعمالها مـع بعد عـن الخلافات الفرعية وتـرك الاصطلاحـات الفقهية الصعبـة، ثم تصورنا الاحتياجـات العملية للحاج، فقدمنا الخلاصة النافعة فقط، ومثل هذا المنهج لا يسـلم مـن اعتراض، ولكنا قصدنـا إلى ذلك تخفيفاً على الناس، مع حفظ حق العلم والعلماء، إذ لا غنى للمسلم عن التزود من العلم النافع».

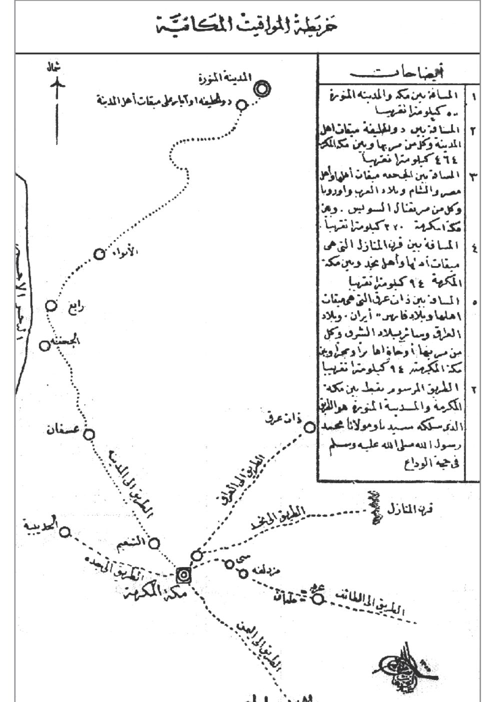


خريطة
المدينة المنورة

ومـضى في الرسـالة ليقـدم موجزاً ييـسر للحاج رحلـة الحج ومناسـكها، متناولاً طبيعـة الرحلة، ونظرة الناس إلى الحج، والإحرام، وحج القران وحج التمتع، والأركان والواجبات والسنن، وكيفية الحج، وزيارة المدينة، وترتيب أعمال الحج، ولنا أن نتوقف معها:



رسم الحرم المكي
والطريق بين الصفا والمرة



خريطة
المواقيت المكانية

أعمال يوم التروية (٨ من ذي الحجة)

يحــرم الحاج من مكة ويخرج إلى منى، حيث يصلي فيها الظهر ثم العصر (قصراً) كل صــلاة في وقتهــا، ويبيت بمنى ليلــة عرفات ويصلي بها الصبــح ويتحرك إلى جبل عرفات عند طلوع الشمس.

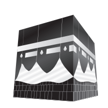
أعمال يوم عرفة (٩ من ذي الحجة)

ينزل الحاج بمســجد نمرة (إلى وقت الظهر إن اســتطاع) ثم يمضي إلى أن يســتقر بساحة جبل عرفات.

يصلي هناك الظهر والعصر جمــع تقديم قصراً (والصلاة مع الجماعة أفضل. بأي مكان بعرفات).

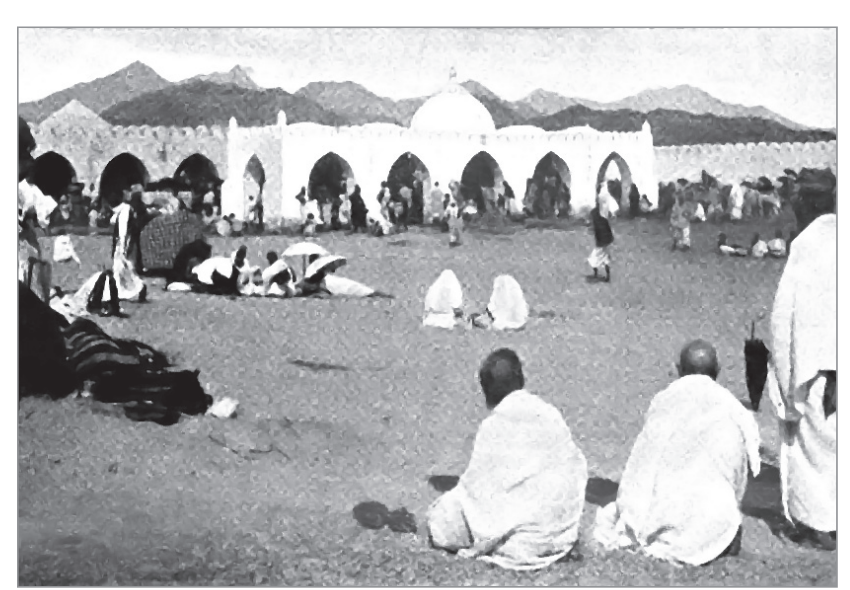


خريطة
جبل عرفات



يكثر الحاج من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى وقراءة القرآن الكريم، يحسن بالحاج أن يمشي إلى الصخرات وجبل الرحمة، ويدعو لنفسـه ولمن أحب وهو مسـتقبل القبلة تائباً لله تعالى خاشعاً متذللاً.

ينصرف من عرفات بعد غروب الشمس.



التجمع في عرفات

أعمال ليلة النحر:

ينـزل إلى المزدلفة ويصلي المغرب والعشـاء قـصراً وجمعاً بأذان واحـد وإقامتين، ويحسـن بالحاج أن يبقى بها إلى فجر يوم العيد ويأتي المشعر الحرام (وهو مكان في المزدلفة) به مسـجد ومئذنة ويدعو الله حتى يسـفر النهار (وإن لم يستطع الوصول إليه فإن المزدلفة كلها مشعر).

ينصرف من مزدلفة قبل طلوع الشـمس ويسرع عند وادي محسر الذي أهلك الله فيه أصحاب الفيل ويجوز للضعفاء والمضطرين الاكتفاء بقليل من الوقت في مزدلفة.

ويحسـن التقاط الحصى مـن مزدلفة ويجوز التقاطه من أي مـكان ... ولكن بعد انصرافهم من المشعر الحرام.

أعمال يوم النحر: (١٠ من ذي الحجة)

التوجه إلى منى ورمي جمرة العقبة (وهي التي في آخر مِنى من ناحية مكة). وترمى الجمرة بسبع حصيات في حجم الحمصة تقريباً.

ويقول الحاج مع كل حصاة، «بسم الله والله أكبر» ثم يقول في النهاية: «اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً».

ويتوقف الحاج عن التلبية إذا رمى الجمرة السابعة وينصرف مباشرة بلا وقوف ولا دعاء بعد رمي الجمرات السبعة، ووقت رمي الجمرة هو من منتصف ليلة العيد إلى آخر أيام التشريق (أيام ١١ و١٢ و١٣ من ذي الحجة).

حلق الرأس أو تقصير الشعر. وبذلك يفك إحرامه ويحل له كل شيء (إلا الجماع).

يمكنه أن يذهب إلى مكة لأداء طواف الإفاضة لأنه من أركان الحج وبه تنتهي أعمال الحج كلها ويحل له كل شيء.

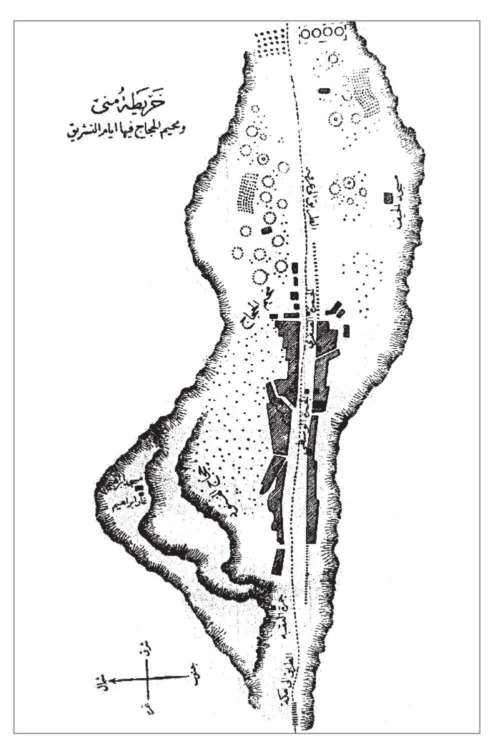
يعود الحاج إلى منى بعد طواف الإفاضة ليبيت فيها ليلتين (إن تعجل أو ثلاث إذا اطمأن).

أعمال أيام التشريق:

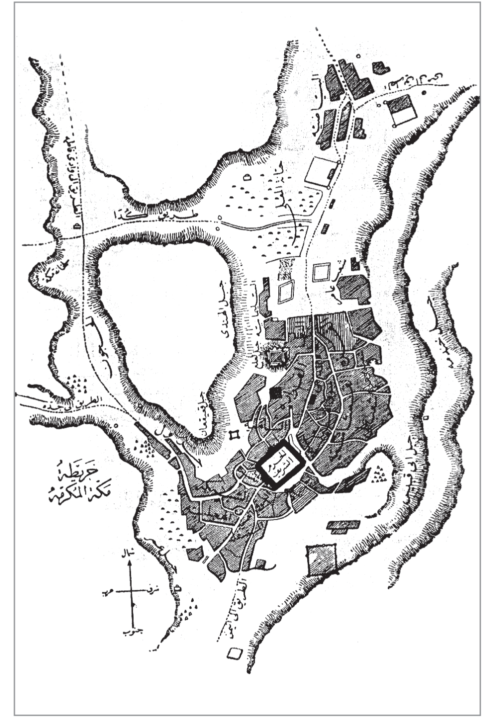
يبدأ الرمي بعد الظهر ويستمر إلى الغروب (وعند أبي حنيفة. يجوز ليلاً مع الكراهة).

ترمى الجمرة الأولى (الصغرى) بسبع حصيات كما تقدم، ثم الثانية ثم الثالثة، ويتكرر ذلك يوم الثاني عشر من ذي القعدة، وليكن انتظاره في منى فرصة لدوام الذكر والتوبة والاستغفار؛ لقوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾.

ويلزمه الانصراف من منى قبل غروب الشمس وإلا لزمه المبيت ومعاودة رمي الجمرات الثلاث يوم ١٣ بعد الزوال.



خريطة مِنَـى
ومخيم الحجاج فيها
أيام التشريق



خريطة
مكة المكرمة

طواف الوداع:

إذا فرغ الحاج من جميع أموره، وجب عليه أن يطوف بالكعبة، وهو سبعة أشواط كالعادة، مع الدعاء والاستغفار؛ ثم يصلي ركعتين عند مقام إبراهيم، ويشرب من ماء زمزم ويقبل الحجر الأسود إن تمكن من ذلك ويدعو ويجدد العهد ويلتزم الحطيم (وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة) - أما الحائض والنفساء فيودعان بيت الله من خارج المسجد[١].

وقد زار الشيخ علي مكة المكرمة حاجًا ومعتمراً، وبصحبته زوجته الشيخة حمدة بن ثاني وابنه أحمد في حياة والده الشيخ عبد الله بن جاسم سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م، قبل أن يتولى الإمارة.

وعندما تولى حكم البلاد أهداه الملك سعود قصرًا في مكة المكرمة، فكثر تردده على البيت العتيق زائرًا، فحج سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، وسنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، وغيرها.

وكان رحمه الله يرسل كل عام، على حسابه الخاص، عددًا من الحجاج الفقراء بواسطة شركات نقل الحجاج أو منفردين[٢].

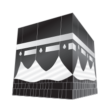
كما كان يصطحب في حجه لفيف من العلماء والأدباء، وكانت له مكرمات وصدقات في الحج كثيرة، وكثيرًا ما وجدنا أنفسنا أمام قصائد يذكر فيها الشعراء حجه ويطرون إحسانه وصدقاته، منها قول الشاعر عبد الرحمن المعاودة[٣]:

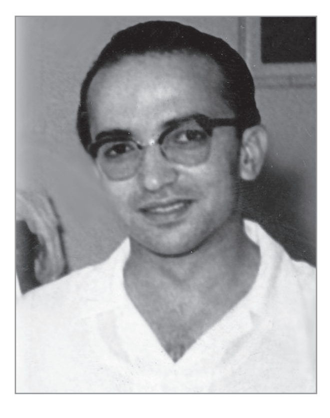
رأيتك حول البيت تسعى ملبيًا	وتستغفر الرحمن في عرفات
فكنت أجل الطائفين مهابة	وأسبقهم للخير والحسنات

(١) انظر عبد البديع صقر: رحلة الحج وما يلزم فيها، مطابع علي بن علي، ١٩٦٠م، صص ٢٢-٢٨

(٢) خالد بن محمد بن غانم آل ثاني: الحلي الداني في سيرة الشيخ علي آل ثاني، (الدوحة: المؤلف، ٢٠٠٩م)، ص ص :٦٧، ٦٨.

(٣) عبد الرحمن المعاودة، القطريات (الدوحة: ١٣٧٧هـ) ص ٩٨





دكتور / فؤاد الجويني

ومنــذ عــام ١٩٥٧م كانت دائــرة الخدمــات الطبية والصحة العامة القطرية ترســل بعثة طبية إلى الأراضي المقدســة أثناء موســم الحج من كل عام لتشــارك بقية الــدول الإســلامية مجهودهــا في توفير الرعايــة الطبية الكاملة لحجاج بيت الله الحرام وتعمل البعثة في كل من : «مكــة المكرمة» حيــث توجد لها عيادتــان وفي «المدينة المنورة» حيث توجد لها عيادة وفي «منى وعرفات» حيث لها مركز طبي بكل منها، وتتألف البعثة من:

٥ : أطباء

٢ : صيادلة

١ : مساعد معمل

٥ : ممرض

٩ : سائق

١ : ميكانيكي

٢ : طباخ

وتزود البعثة بثمان سيارات موزعة كالآتي :

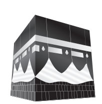
٣ : سيارة إسعاف

٢ : سيارة شحن

٣ : سيارة خاصة للأطباء

وتقــوم البعثة بالكشــف على الحجاج من جميع أنحــاء العالم وتصرف لهم أحدث الأدوية [١]

(١) فؤاد الجويني : نهضة قطر الصحية ،الاسكندرية ، ط٢ ، ٢٠١٠ ، ص ٣٦ .



الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري



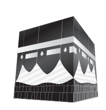
الشيخ
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

يعد الشيخ عبد الله الأنصاري أبرز أبناء قطر الذين خدموا قوافل الحج ثم بعثات الحج القطرية فيما بعد؛ فقد قام وهو في الثالثة والعشرين من عمره أي في عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) برحلته إلى مكة لأداء فريضة الحج، فغادر مدينة الخور مع مجموعة من الحجيج على متن سفينة متوجهة إلى مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية، ومنها يستأجرون اللوري ليواصلون الرحلة إلى مكة.

ومنذ عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) ترأس بعثة الحج القطرية، فكان يذهب كل عام للحج رئيساً لبعثتها ومعه الوعاظ والمرشدون والأطباء والممرضون والصيادلة، ويشاركه العديد من الوفود القطرية، ويجلب معه العدد الوفير من الكتب؛ حيث كان توزيع الكتب والدواء والكشف على المرضى مجاناً بالإضافة إلى رعاية الحجاج بعامة والقطريين بخاصة[١].

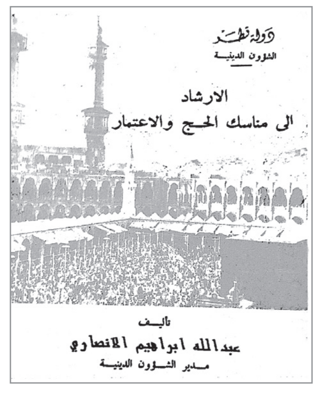
وكان من أهم ما تقوم به البعثة، استقبال حجاج قطر، قطريين وغير قطريين، للترحيب بهم والاطمئنان على صحتهم والإشراف على الأعمال الإدارية والمالية والإشراف على التوعية الدينية وتوزيع العمل على المشرف الديني والإشراف على المقاولين والتفتيش

(١) عمر تهاني ناجي مختار: علامة قطر الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (مركز شباب برزان -الدوحة)، ٢٠٠٦، ص ٥٦، ١١٤



عليهم وعمل إحصائية بعدد الحجاج ومنح تصاريح للمقاولين وتوقيعهم على الشروط الخاصة بهم لتنفيذها وحل مشــاكل الحجاج مع المقاولين وإرشــاد التائهين والبحث عــن المفقودين ونصب معســكرات خاصة بالبعثة في كل من مِنى وعرفات بمســاعدة الكشافة وتوزيع الأراضي للمقاولين في مِنى بعد استلام البعثة لتلك الأراضي المخصصة من السلطات السعودية .

وأما التوعية الدينية، فــإن مهامها تتلخص في توزيع مطبوعات وأدعية الحج ومن أشهرها كتيب الارشــاد إلى مناسك الحج والاعتمار» تأليف الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.



غلاف كتاب
الإرشاد إلى مناسك الحج والاعتمار

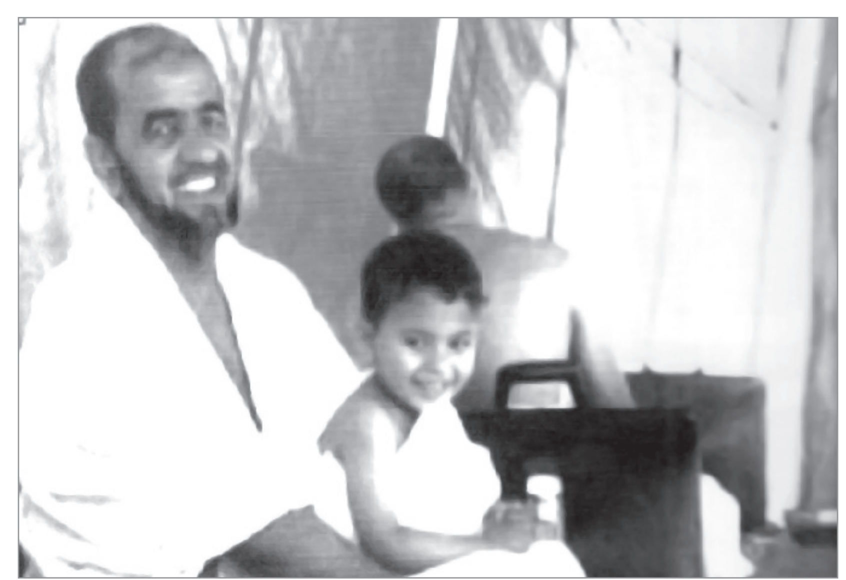
ومن مقدمة هذا الكتيب الصغير نستطيع أن نتعرف على اسلوب الشيخ عبد الله الذي اتسم بالبساطة.

وكان مع كل حملة موجه ديني يقوم بصفة مستمرة بتنظيــم أوقات الحجاج في الحرمين الشريفين، وكذلك في مقر البعثة والتجول على الحجاج في مقر سكنهم للشرح لهم والرد على أسئلتهم.

وفيمــا يتعلق بالناحية الصحية للحجاج فإن البعثة كانت تصطحب معها ســنوياً فريقاً طبياً تســتأجر لهم شــقق اً تجهزها بالعيادات الطبية المجهزة بالمعدات المناسبة لاســتقبال المــرضى في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وعرفــات ومِنى، وتقدم لهم الخدمات الصحية ويصرف لهم الدواء مجاناً.

ومــن الناحيــة الوقائية كانــت البعثة تقوم بتقديــم الإرشــادات والنصائح الطبية للحجاج لتلافي الأوبئة، ومن جانبها كانت وزارة البلدية تسهم في ذلك بإرسالها سيارة وعمالاً للنظافة، تقوم برش مساكن الحجاج بالمبيدات الحشرية.

ومـع افتتاح إذاعة قطر[1]، كانت ترسـل مراسـلاً لها مع بعثة الحـج ليقوم بنقل أخبار الحجاج، ويسـجل معهم ليرسـلوا برسـائلهم إلى أهليهم، لتقوم الإذاعة ببثها في برامجهـا ويطمئن الأهل عليهم، وفيمـا بعد لحق التليفزيـون[2] بالبعثة وكذلك كانت الصحف، لتنقل كل تلك الوسائل أخبار الحج والحجاج.



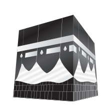
الشيخ
عبد الله الأنصاري
مع أحد أبنائه

تنظيم عمل المقاولين:

قامت البعثة في السـبعينيات من القرن العشرين بنظام جديد يتعلق بشؤون الحج وتوحيد أسـعار المقاولين ثم تسـجيل الحجـاج في مقر البعثة كمـا عملت على تجهيز السكن من قبل المقاول على أساس ان يكون مجهزاً بالماء والكهرباء وأن تتوافر مراوح وأن يكون المبنى سليماً وصحياً ومناسباً وأن يكون بالمبنى أكثر من دورة مياه واحدة بحيـث يكون لكل عشريـن فرد على الأكثر دورة مياه لقضاء الحاجة وأن يتوجب عليه أن يفرش أرضية المبنى بسـجاد لائق وأن يكون المبنى المستأجر به مكيفات ولا يجوز استخدام الخيام مطلقاً في كل من مكة والمدينة.

(١) افتتحت إذاعة قطر بتاريخ ٢٥ - ٦ - ١٩٦٨

(٢) افتتح تليفزيون قطر عام ١٩٧٠



ولقد اشــترطت بعثة الحج على كل مقاول أن يصطحب معه عاملاً للنظافة في مقر الحجاج في مكة والمدينة ومنى، كما اشترطت عليهم ايضاً رفع علم قطر على كل سكن الحجاج القطريين، وكان هذا يسهل عليهم التزاور للاطمئنان على بعضهم البعض.

وفي بعض السنوات قامت بعثة الحج بتخصيص مكافأة مالية تمنح لأحسن مقاول تقيَّد بالشروط المطلوبة منه ونفذها بأحســن وجه، كما أقرت إجراءات عقابية لكل من يخالف هذه الشروط من المقاولين.

ويذكــر الحــاج أحمــد محمد يوســف سرور الذي حج عــام ١٩٧١م أنــه حج مع راشد بن عيسى النعيمي، من أهل الوكرة، وقد استغرقت هذه الرحلة شهراً تقريباً، منها ٥ أيام عن طريق البحر، وبتنا الليلة الأولى في الأحســاء، ثم في الرياض، وبعدها عفيف، ثــم في الطائف وأخيراً في مكة المكرمة ، وكان أهل قطر ينطلقون للحج يوم عيد الفطر المبارك، وكانوا يذهبون في رحلة واحدة من مختلف أنحاء قطر[١].

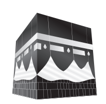
ذكريات:

ويتذكــر الشــيخ ثاني بن خالــد آل ثاني قائــلاً : «في مكة نزلنا في فيــلا دورين في الروضة بالقرب من الحرم؛ حيث كان يلازمنا مطوف اسمه صالح بن أسود، وفي منى رأينا الشــيخ ســحيم بن حمد ومعــه ابنه حمد وكان صغيراً، وقــد حجز أرضاً في مِنى مــن جهة الجنوب وكان بها كهرباء، ودعانــا للجلوس عنده والغداء معه، ورأينا حملة أبوزويــر الدوسري، ومحمد بورحمة، ومنيف الكعبــي، وغيرهم، فقد كنا نحرص على التزاور فيما بيننا أبناء قطر».

ويــروي يوســف أحمد أنهــم في مكة نزلوا في شــعب بني عامر في بيــت قديم، نزل الرجال في غرفة مشتركة، وحمام مشترك، ونزلت النساء في غرف منفصلة وكن يرتدين لبساً أخضر، ويشتركن معاً في إعداد الطعام، وكان يسودهن مشاعرُ من المودة والإخوة.

---

(١) الغوص عن اللؤلؤ في قطر ، عن مجلة الريان ، العدد ٢٥ مارس ٢٠١٠ ، مقابلة أجراها عادل الكلدي، ص ٥٩٨، ومقابلة مع المؤلف يوم ١٣ مارس ٢٠١٣ في دكانه في سوق واقف.

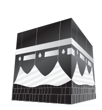


وكان الطبيخ على الحطب في نفس البيت فنظل نشم رائحة الطبيخ ليل نهار، وأذكر أن عدداً من الحجاج أصيب بإسهال شديد، واشتكينا للمقاول، فقال لنا إن الذباح الذي يسويه كان يأكل من عشب الحرمل، وهذا العشب مسهل بطبيعته، ومفيد للأمعاء، فقلنا له: كل أنت منه.

ولقد طافت الوالدة على حامل، وسعت بالكرسي المتحرك، وخالتي كانت معها تساعدهم، ولقد سرقت خالتي في أثناء السعي.

ولا زلت أذكر مشهد الحجاج وهم يغتسلون بماء زمزم ومنهم من اصطحب معه (كفنه) ليغسله بماء زمزم، ويرجع به، فإذا توفي يكفنونه به.

لقد كان الحرم أصغر مما هو عليه الآن، وأرضيته من الحصى الصغير، وكانت الدكانين ملاصقة له.



فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي



فضيلة الشيخ
يوسف القرضاوي

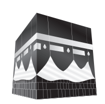
يروي الشيخ يوسـف القرضاوي ذكرياته عن الحج من قطـر[1]، وروايته جديرة بالاهتمـام، لكونها تمت في إطــار حملة قطرية منـذ أكثر من نصف قــرن، ولمكانة الشيخ أولاً وأخيراً، ولقد جاء فيها على لسانه:

وكان مـن أهم أعمال سـنتي الأولى في قطر (١٣٨١هـ -١٩٦١م) رحلتي لأداء مناسـك الحـج: حج الفريضة، فقد استطعت «السبيل» إلى الحج، فلا ينبغي أن أؤخره، صحيــح أن هناك من أئمة المذاهب الإسـلامية من يقول: الحج مفروض على التراخي، ولكنه يحمل الإنسـان المسـؤولية لـو واتته الفرصة ولم يغتنمها، ثم فقد الاستطاعة بعد ذلك، فهو يتحمل وزرها.

ولــذا لـم أر أفضل من التعجيـل، فقد قال تعــالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ (البقرة: ١٤٨)، وقــال سـبحانه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ (الحديد:٢١).

وفي الحديث: «تعجلوا إلى الحج، فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له».

(١) أنظـر: ابن القرية والكتاب، ملامح سـيرة ومسـيرة، الجـزء الثاني، الدكتور يوسـف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة - الطبعة الثانية ٢٠٠٩م، ص٣٧٩-٣٩٠



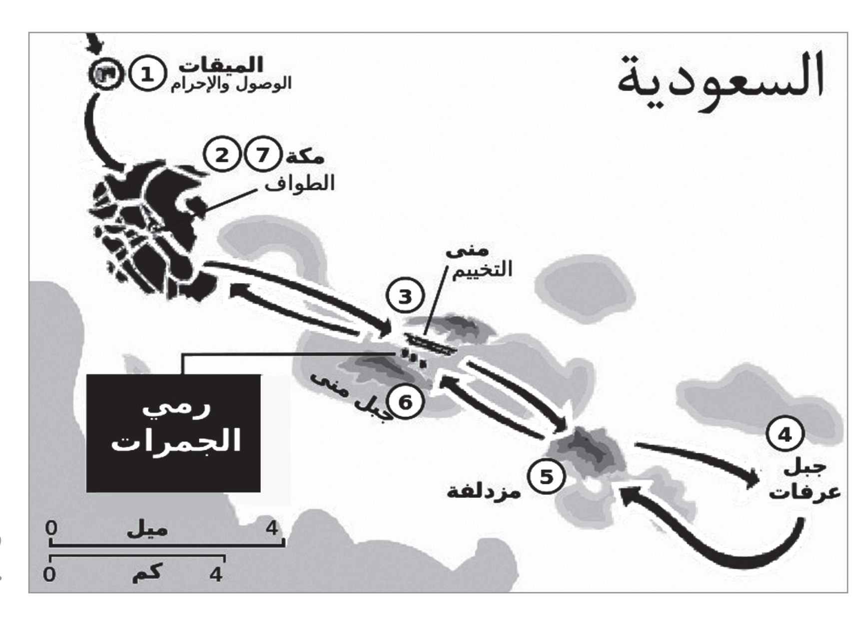
وفي الأمثال: خير البر عاجله. والشاعر يقول:

انتهــز الفرصـــــة إن الفرصــــــة   تصــــير إن لــم تنتهزهـــا غصـــة

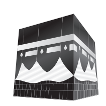
وقد نويت أن أحج وحدي دون اصطحاب العائلة، فقد كانت زوجتي حاملاً في ابنتي الثالثـة «عُـلا» وكان عندها طفلتان، فلم يكن معقـولاً أن تحمل على يديها، وتحمل في بطنها، وتحتمل مشاق الرحلة، فأجلت حجها إلى حين، وكنا في أواخر السنة الدراسية، فرأيت أن سفرها إلى مصر مدة غيبتي في الحج أوفق وأولى، بدل أن تبقى وحدها.

وســافرت إلى الحــج، وكان الجو حاراً، فقد كان في الشــهر الخامــس (أيار مايو)، وأذكر ممن حجوا معي في تلك السنة: الأخوين الكريمين: عبد الحليم أبو شقة، ومحمد الشافعي صادق.

ولــم تكن هنــاك في ذلك الوقت رحــلات مباشرة مــن الدوحة إلى جــدة، فركبنا إلى الظهــران، ثم من الظهران إلى الرياض، ثم من الرياض إلى جدة. أخذ ســفرنا إلى جدة قرابة يوم كامل.



رسم توضيحي لمناسك الحج



في جدة:

ونزلنـــا في جدة لأول مرة، فلم يتح لي من قبــل أن أزور أي مدينة في المملكة العربية السعودية، وكانت جدة مدينة صغيرة، أو قرية كبيرة، جدة القديمة، بأسواقها العتيقة ومينائهـــا، وفنادقها الصغــيرة والمحدودة القدرات والخدمات، وأذكــر أننا بتنا ليلة في فندق يسمى «فندق الحرمين» ولا أدري: ألا يزال باقيا أم لا؟

إلى المدينة. وذكريات العقارب !!

ومــن جدة ســافرت إلى المدينة المنــورة، وكانت مثل جدة، بل أقــل كثيرًا في عمرانها وتطورهـــا، إلا مـــا أضافه الملك عبد العزيز رحمه الله إلى المســجد النبوي، وهي إضافة لها قدرها وقيمتها، في توســعة المســجد، وإن كانت لا تسع كل المصلين في أيام الموسم، فالصفوف تتصل وتمتد نحو نصف كيلو أو أكثر، ولا سيما من الناحية الشمالية.

لــم تكن في المدينة فنادق كافية مناســبة، وكان معظم الناس يســتأجرون بيوتًا أو حجــرات في بيوت، وكانت بيوت المدينة قديمــة في بنائها، قديمة في تجهيزها، قديمة في أثاثها.

وكان الذيــن حجوا قبلنا يخوفوننا مــن شيء واحد في بيوت المدينة، هو «العقارب»! وخصوصًا في حر الصيف الذي يهيج هذه الحشرات. وأنا شــخصيًّا لا أدعي الشجاعة، فأنا أخاف من هذه المخلوقات التي لا نعرفها في الوجه البحري من مصر، والتي يشبهون بها بعض الناس من المؤذين لخلق الله، فيقولون: إنه كالعقرب، يلدغ ويختفي.

ولهذا استأجرت الحجرة، ولم أكن أنام بها إلا قليلاً؛ خوفًا من حمة العقرب، وكثيرًا ما كنت أذهب إلى الشارع، أو إلى المسجد أول ما يفتح.

وإذا فُتح المســجد، فإني لا أكاد أتركه، ففيه أجد قرة عيني، وأنس قلبي، وســكينة نفسي، وأشــعر براحــة لا أجدها في غيره، ولا ســيما في «الروضة الشريفــة» التي كنت

أقضي ما تيسر لي من الوقت في رحابها، متمتعًا بالصلاة حينًا، وتلاوة القرآن وذكر الله حينًا آخر.

ثم أسعد بالسلام على رسول الله، وما كان أسعدني حين وقفت أمام قبره ﷺ لأول مرة في حياتي، أناجيه وأسلم عليه، كأنما هو حي حياة حسية أمامي، ولِم لا؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران]. فإذا كان الشهداء أحياء عند ربهم، أفلا يكون الأنبياء أحياء، فما بالك بسيد الرسل وإمام الأنبياء؟

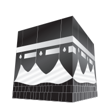
إنه ليس شعوري وحدي، إنه شعور كل المؤمنين من حولي، يستحضرون رسول الله كأنه معهم، وليس هذا تقديسًا ولا شركًا، كما قد يتوهم بعض الجامدين، إنه الحب والوجد والعاطفة! وهذه لها منطقها، ولها خطابها الخاص الذي لا يخضع لمنطق الأرقام والحساب والأمور الظاهرية.

وفي المدينة توجد مساجد تزار، يسمونها المساجد السبعة، وبهذا تتميز المدينة عن مكة، فليس في مكة أي شيء يزار.

ويوجد (مسجد قباء) الذي كان الرسول ﷺ يزوره كل سبت، وفيها البقيع الذي دفن فيه عدد من الصحابة رضوان الله عليهم.

وفيها: جبل أُحد الذي وقعت عنده الغزوة، وهو الذي ورد فيه الحديث الصحيح: «أحد يحبنا ونحبه». وما أروعها كلمة، تعبر عن حقيقة شعور المسلم بالكون من حوله!

ويوجد هناك قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله، وأسد الله وأسد رسوله في أحد.



من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة :

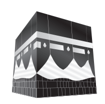
وبعد عدة أيام قضيناها في المدينة، ربما كانت أربعة إن لم تكن خمسة، كما يحرص أكثر الناس على ذلك؛ لما روي لهم من حديث غير صحيح عن النبي ﷺ.

ولا شـك أن الصلاة في المسـجد الحـرام بمائة ألف صلاة في المسـاجد العادية، وأن الصلاة في المسـجد النبوي بألف صلاة فيها. ومعنى هذا: أن الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة صلاة في المسجد النبوي.

فحزمنا متاعنا القليل للسـفر إلى مكة، عن طريق جُدَّة: الطريق القديم، قبل شـق الطـرق الحالية السريعة المهيأة، فكان علينـا أن نتهيأ للإحرام في الطريق قرب المدينة مـن «آبـار علي» وهي قرب «ذي الحليفـة» الميقات الذي حدده الحديـث النبوي، وهو أبعـد المواقيت عن مكـة، ومن «آبار عـلي» أحرمنا متمتعين، وقلنا: لبيـك اللهم عمرة، فإذا أدينا العمرة تحللنا من الإحرام، ولبسـنا ثيابنا، وبقينا أحرارًا حتى نحرم بالحج يـوم التروية، وعلينا هدي، كما قال تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وأخذ الطريق نحو ثماني سـاعات إلى مكة على ما أذكر، حتى انتهينا إلى البلد الحرام، والذي ولد فيه محمد ﷺ، ونشأ في ربوعه، وتعبَّد في جباله، ونزل عليه الوحـي، وهـو في غار حراء وفيه بدأ الدعوة إلى الإسـلام، ولقي مـا لقي هو وصحابته الذين رباهم في «دار الأرقم».

لأول مـرة ترى عيني المسـجد الحرام، والبيت الحرام، أول بيـت وضع لعبادة الله في الأرض، ومنـه تهب على المرء الذكريات المحمدية مـن قريب، والذكريات الإبراهيمية من بعيد.

هـا هـو ذا البيت الذي نولي وجوهنا شـطره خمس مـرات كل يوم، نـراه بأعيننا،



ونطوف حولــه بأقدامنا، وللبيت العتيق إيحاء عجيب، وتأثير عميق، في نفس المســلم، لا يستطيع الإنسان أن يصوره، ولكن يحسه ويشعر به في أعماقه.

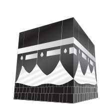
وكان أول ما شــغلنا به فور وصولنا إلى مكة: أن نفرغ من أعمال العمرة، والعمرة هــي: الإحرام والطواف والســعي، ثم الحلــق أو التقصير. وفي أقل من ســاعة ونصف أنهينا أعمال العمرة.

ومما أذكره: أنه في هذه الســنة اكتمل بناء المســعى الجديد، وإن لم يتم «تشطيبه» وتكييفــه، وقد حدثنا الذين حجوا في الســنة الماضية (موســم ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) أن الناس كانوا يســعون بين المحلات التجارية، عن يمين وشــمال، وبين الباعة والمشترين والمتجولــين، وقد تجد حولك من يركــب حمارًا، أو يجر عربة، أو نحو ذلك. على خلاف ما نرى عليه المسعى اليوم، وقد أصبح جزءًا من المسجد الحرام، وإن أفتى العلماء أنه لا يأخذ كل أحكام المسجد، فيجوز أن تدخله الحائض والنفساء.

وأردنا أنا والأخوان الكريمان: عبد الحليم أبو شــقة ومحمد الشــافعي أن نسكن في فنــدق قريب من الحــرم، يمكننا من أداء الصلوات الخمس فيه بيسر وســهولة. فكان أقرب الفنادق المحترمة في ذلك الوقت، هو «فندق بنك مصر» - الذي يسمى الآن «فندق الكعكي»- في شارع أجياد.

وكان الإقبال على الفندق شــديدًا، وخصوصًا كلمــا قربت أيام الحج، فلم يجدوا لنا مكانًا إلا صالة ملئت بالأسِرَّة، وكل سرير معه ما يسمونه (كوميدينو)، وقلنا: لا بأس، فهذه رحلة عبادة ونسك، وليست رحلة رفاهية وتنعم.

ومن حسن حظي أن وجدت بجواري اثنين من أهل قريتي، وهما من أعيان البلدة، أحدهمــا: الأســتاذ علي حمزة خضر (المستشــار الآن)، وأظنه كان وكيــل نيابة في ذلك



الوقت، والثاني: هو الحاج عبد القادر العيسوي، وهو من الرجال الأفاضل الذين عرفوا بالتديـن والصلاح والنزعة الصوفية، وقـد فرحت بلقائهما كثيرًا، كمـا فرحا بلقائي، ومـن المعروف أن رحلة الحج لها نفحات وبركات، ومـن نفحاتها توثيق الأواصر بين الحجاج، فيقول أحدهم: لقد كان رفيقي في الحج منذ عشرين أو ثلاثين سنة!

ولكـن هذه الصحبة بيننا أبناء صفط لم تدم طويلاً، فبعـد يومين أو ثلاثة عرفنا أن الشـيخ قاسـم بن حمد آل ثانـي -وزير المعارف- يحج هـذا العام، ونزل ضيفًا عـلى الحكومـة السـعودية التي خصصت لـه ولمن معه منزلاً كبـيرًا مجهزًا في مِنًى. فرأينا مـن اللائق أن نذهب إليه، ونسـلم عليه باعتبارنا موظفـين في الوزارة، وبيننا وبينه مودة.

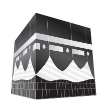


الشيخ قاسم بن حمد
بن عبد الله آل ثاني

الاستضافة في منى والحج المرفَّه :

وبالفعل ذهبنا إلى منى، وسلمنا على الوزير، ودعانا لتناول الغداء معه، ثم سألني: أيـن تقيم؟ فقلت: نقيم نحن الثلاثة في فندق بنك مصر. فقال: أنتم ضيوف عندي هنا مـن اليوم، هاتوا أمتعتكم وانضموا إلينا. قلنا: نحاسـب الفندق، ونأتي إليكم من الغد إن شاء الله.

وفعلاً عدنا إلى الفندق لنبيت فيه ليلتنا، ونحاسـبه، ونـودع أصدقاءنا. وخصوصًا ابنَيْ قريتي اللذين آنسـت بهما، كما آنسـا بي، لا سـيما «علي حمزة خضر» الذي كان مثالاً في الأدب والتواضع، والحرص على خدمة الآخرين، وكم كنت حريصًا على أن أبقى معه طوال مدة الحج، لأزداد معرفة به، ودنوا منه، ولكن لم يمكنني القدر من ذلك، ولم يقدر لي أن ألقاه بعدها إلى اليوم، وإن كنت أعرف شـيئًا من أخباره ومآثره عن طريق



زميله في القضاء، صديقنا المستشار «علي» الذي رافقنا في قطر مدة طويلة، وكان ينقل لي: أن «علي خضر» كان في نظر زملائه جميعًا آية في الفضل ومكارم الأخلاق.

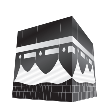
انتقلنا إلى مِنى في صحبة الشيخ قاسم، أو الشيخ جاسم، كما ينطقها القطريون وأهل الخليج، حتى إن بعضهم ناقشني أن أصلها «جيم» وليس «قافًا». وقلت لهم: أنا لا أشك في أن أصلها قاف، فإن أهل الخليج ينطقون «القاف» على عدة أوجه، فأحيانًا ينطقونها جيمًا معطشة مثل «جاسم» في «قاسم»، وأحيانًا «جيمًا قاهرية» غير معطشة أو «كافًا فارسية»، مثل قولهم: أجول أي أقول، ومثل قولهم: يا رفيج أي يا رفيق، وتارة ينطقونها «غينًا» مثل قولهم: عبد الغادر في عبد القادر، وليلة الغدر في ليلة القدر، وعيد الاستغلال أي الاستقلال. ولا يوجد في الخليج من ينطق القاف همزة مثل أهل القاهرة وأكثر الوجه البحري في مصر.

والدليل على أن «جاسم» أصلها «قاسم»، أن أهل الخليج يكنون محمدًا «أبا جاسم». وقد كان النبي يُكنى بـ «أبي القاسم»[1].

وشاء الله أن ننتقل إلى حج مرفّه، نأكل الخراف والمكبوس كل يوم، وننام على الحشايا وفي التكييف. وفي يوم التروية الثامن من ذي الحجة أحرمنا بالحج من حيث نقيم، فنحن في منى.

وفي يوم عرفة بعد أن صلينا الفجر، وتناولنا الفطور، نقلتنا سيارات معدة بسرعة فائقة إلى صعيد عرفات، حيث بركة المكان، وبركة الزمان، وبركة تنزل نفحات الرحمن، فهذا يوم العفو والغفران، يوم يباهي الله ملائكته بهؤلاء الحجاج الذين جاءوا شعثًا

(١) لقد حسم الشيخ جاسم نفسه وبخط يده كما يظهر في سلسلة النسب التي جاءت كما يلي : جاسم بن محمد بن ثاني بن محمد بن ثامر بن علي بن سيف بن محمد بن علي بن راشد بن علي بن سلطان بن بريد بن سعد بن سالم بن عمر بن معضاد بن محمد بن إدريس بن علي بن محمد بن علوي بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن حنظلة بن عامر بن ربيعة بن ساعدة بن ثعلبة بن ربيعة ، وهكذا فرق جاسم في سلسلة النسب بين اسمه هو ، وبين قاسم وليس جاسم الذي جاء متأخراً في سلسلة النسب المرفوع إلى موسى بن ربيعة .. وهو بذلك يحسم قضية رسم الاسم التي كثيراً ما تلتبس على بعض الباحثين خاصة من غير ابناء المنطقة .



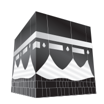
غبرًا حاجين. إنه يوم لم يُرَ الشـيطان في يوم أحقر ولا أدحر ولا أغيظ مما رُئِي في ذلك اليوم، إلا ما كان يوم بدر.

وقد أُعِدَّت لنا خيمة كبيرة نزلنا بها، وجلسـنا نذكر الله ذكرًا كثيرًا، ونسـبحه بكرة وأصيلاً، أحيانًا ندعوه ونتضرع إليه، ونسأله كل ما نحب لنا ولأهلينا وذوينا وإخواننا وأخواتنا المسـلمين، وأحيانًا نسـتغفره ممـا ألممنا فيه من الذنـوب والخطايا، وأحيانًا نذكره بالباقيات الصالحات: سـبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ونذكر حديث النبي: «خير الدعاء دعاء عرفة، وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، له الملـك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». وأحيانا نتلو القرآن، وعندما جاء وقت الظهر، ذهب بعضنا إلى مسـجد نَمِرة ليصلي مع الإمام، وبقي أكثرنا في الخيمة، وصلينا فيها الظهر والعصر جمع تقديم.

وتناولنا الغداء، وظللنا بعده ندعو ونذكر ونسـتغفر، ثم أخذتني سِـنة من النوم، من طول التعب، فقال الشـيخ قاسم بن حمد: الشـيخ القرضاوي ينام في يوم الموقف العظيم! وأنا من الناس الذين نومهم خفيف، فسـمعت كلام الشيخ فاستيقظت. فقال الشـيخ: تنام في يوم الوقوف؟ قلت له: يا شـيخ قاسم، العلماء قالوا: المراد بالوقوف في عرفة: الحضور والوجود، وليس المراد أن يظل المرء واقفًا على رجليه، ومن حق المتعب أن يسـتريح، ومـا جعل الله علينا في الديـن من حرج، وأمامنا الليلة سـهر طويل، قد يستغرق الليل كله؛ فلا حرج أن نستعين عليه بشيء من القيلولة، والمهم هو الإخلاص، وفي الحديث: «أخلص العمل يجزك منه القليل».

وبعد أن غربت الشـمس أفضنا من عرفات، نفرنا إلى مزدلفة، وهي المشعر الحرام، وذكرنا الله بها، وصلينا المغرب والعشاء جمع تأخير.

وممـا أذكره أننا وصلنا إلى مزدلفة بسرعة فائقة، قبل أن يأتي وقت العشـاء، فهل نصـلي المغرب والعشـاء عنـد وصولنا، كما فعل الرسـول؟ أو ننتظـر حتى نصليهما تأخيرًا، كما فعل الرسول؟ ورجحنا أن ننتظر قليلاً، ونجمع بين الصلاتين جمع تأخير.

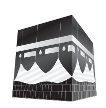


ثـم تناولنـا عشـاء خفيفًا، وبدأنـا نلتقط الحصى، ولا سـيما جمرة العقبة، سـبع حصيات. والأحوط أن نلتقط لليومين بعدها، فكان مجموع ما علينا أن نلتقطه: سبعًا وأربعين حصاة لكل حاج.

وعندما طلع القمر، وقد انتصف الليل أو أوشـك، بدأنا نستعد للرحيل من مزدلفة، على مذهب الحنابلة ومن وافقهم الذين يجيزون لمن معهم بعض النساء والضعفاء ألا ينتظروا إلى الصباح. وهذا التيسـير في أمور الحج مطلوب، وخصوصًا مع كثرة حجاج بيت الله الحرام، وازدحام الناس في المشـاعر، فينبغي للعلماء أن يأخذوا بالأقوال التي تيسر على الناس، والله يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر.

ذهبنـا بعـد منتصف الليل لنرمـي جمرة العقبـة، الجمرة الكـبرى، وهي الجمرة الوحيـدة المطلوبـة في هذا اليـوم، ثم حلق منا من حلق، وقصر مـن قصر، وأصبح من المـشروع لكل منا بعد رمـي الجمرة والحلق أو التقصير أن نلبس ملابسـنا، فهذا هو التحلل الأول الذي يحل فيه للمحرم كل شيء إلا النسـاء. ولذلك مررنا بمقرنا في منى، وقضينا حاجتنا، وجددنا وضوءنا، وخلعنا ملابس الإحرام، ولبسـنا ملابسـنا العادية، اسـتعدادًا ليوم الحج الأكبر، وقد قضينا بعض المناسك من الرمي والحلق، وبقي علينا الذبـح والطواف والسـعي. أما الذبح فقد أجلنـاه حتى نعود إلى منـى. وأما الطواف والسـعي، فقد نزلنا إلى مكة مسرعين، قبل أن تغرقنا الموجات الهائلة من زحام البشر في الطواف.

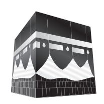
واسـتطعنا أن نطوف – بحمد الله – في سعة ويسر، وأن نسعى في سعة ويسر، فقد كنت في السادسة والثلاثين من عمري. وما أسهل المشي –بل العَدْو– عليَّ! ولم أكن ممن نشـأ في الرفاهية والطراوة والترف، بل تعودنا الحركة والخشـونة والمرونة من الصبا، وزادتنا السـجون والمعتقلات قوة وصلابة، فالحمد لله. وبعد الطواف والسعي تحللنا نهائيًّا من الحج، فمن كان معه زوجته حل له معاشرتها.



وأذكـر أننا صلينــا الفجر في الحرم الشريف، ثم امتطينا سـياراتنا لنعود إلى منى، وهنا كانت المشكلة، فقد ازدحم الطريق، وتوقف السير تقريبًا، كل فترة نتحرك أمتارًا، ثم نقف، أظن أننا لم نصل إلا بعد أربع ساعات. وهذا يؤكد لنا أن ما يحدث اليوم من سيولة الحركة، وسهولة التنقل، يعتبر إنجازًا كبيرًا بالنسبة لما كان في الماضي.

كنــا قد وكلنا أحد الإخوة ليشــتري لنا بقرة عن سـبعة منــا، وكان المعتاد أن يذبح النــاس هديهــم من الغنم والبقرة عادة، ثم يدعونها، فلا يسـتفيد منها أحد، ثم تطمر ويهــال عليهــا التراب وتباد، حتى لا تــؤذي الناس بروائحها ونتنهــا بعد حين. وهكذا كانــت عشرات الألوف بل مئات الألوف من الهدايا والضحايا، دون أن ينتفع بها أحد، وهناك من المسلمين من لا يجد ما يمسك الرمق، أو يطفئ الحرق، وهذا قبل أن يدخل «البنك الإســلامي للتنمية» وغيره من المؤسسات، التي تعمل على تنظيم الانتفاع بلحوم الهدي، عن طريق توكيله في الذبح والتصرف في اللحم.

وكان الأخ عبـد الحليـم أبو شــقة -رفيقنا في هذه الرحلة- لــه رأي إيجابي بنّاء في قضية الذبح، وهو أن الذي يضيع الانتفاع بالذبيحة هو عدم سـلخها، ولهذا أصر على أن نأتــي بمن يسـلخ البقرة أو العجل، الذي اشــتركنا فيه، فجاء هذا الجزار، وسـلخ العجل، وقطعه عدة قطع، فإذا بالفقراء يختطفونه اختطافًا، كل ما حصلنا عليه شيء من الكبـد وقليل من اللحم، قلنا: نأخذه لنأكل منــه، ونطبق قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].



لماذا رميت الجمار قبل الزوال؟

وبقينـــا في منـــى، نصلي فيها أحيانا، وفي أحيان أخـــرى ننزل للصلاة في الحرم الشريـــف. ولنرمي الجمرات، ونذكر الله تعالى، كما قال الله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

ولا أدري هل أكملنا الأيام الثلاثة أو اكتفينا باثنين؛ فقد كنا مقيمين بمنى، ولكن الذي أذكره أني أخذت برأي العلامة الشيخ عبد الله بن زيد المحمود في جواز الرمي قبـــل الزوال، فقد اقتنعت بأدلتـــه، وأصبحت أزاوله بنفسي، وأفتـــي به غيري، وأنا مطمئن كل الاطمئنان.

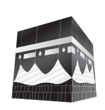
صحيح أني كنت شـــابًّا، وأستطيع أن أرمي بعد الزوال وأزاحم مع المزاحمين، ولكني حسبت حساب أمرين:

الأول: أن شدة الزحام تفقد الإنسان لذة العبادة، وحلاوة الذكر والدعاء، فقد كان النبي يرمي الجمرة الأولى والثانية، ويطيل الدعاء بعدهما، ومن أين للإنسان أن يدعو في هذا المعترك الهائل؟

والثاني: أني طول عمري لا أطيق حرارة الشمس إذا اشتدت، فكيف بشمس مكة ومنى في أوائل الصيف؟

لهـــذا أخذت بالرخصة، والنبي ﷺ علمنـــا أن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه.

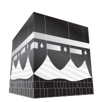
وبعـــد ذلك تهيأنا للســـفر عائدين إلى قطـــر، بعد أن قضينا مناســـكنا، وأدينا فريضتنا، وودعنا الشيخ قاسم بن حمد، شاكرين له ضيافته الكريمة، وذهبنا إلى



مكة لنطوف طواف الوداع، ونصلي آخر صلاة في المسـجد الحرام في هذه الرحلة الميمونة، داعين الله تعالى ألا يكون هذا آخر عهدنا بالبيت، وأن يوفقنا للعودة إليه مرارًا وتكرارًا، حاجين ومعتمرين.

ثـم ذهبنا إلى جدة لنأخذ طريقنا إلى الدوحة، على الطريقة التي سـافرنا بها، من جدة إلى الرياض، ثم ننتقل إلى طيارة أخرى من الرياض إلى الظهران، ثم إلى طيـارة ثالثة من الظهران إلى الدوحة. والحمد للـه الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.[١]

(١) المصدر: موقع إسلام أون لاين.



إحصاء الحج:

في مجلة الحج السـعودية ، عدد ١٦ ذي الحجة ١٣٨٠ يونية ١٩٦١ ، جاء أحصاء هذا العام كما يلي ، حيث بلغ عدد حجاج قطر ١٢٦٣ ، حجوا براً وجواً ......

إحصاء حجاج عام ١٣٨٠ هـ

جاء من سمو المشرف العام على الحج أن عدد الذين وقفوا بعرفات في هذا العام قد بلغ ٩٤٨ ر ١٨٥ ر ١ وبيانهم كالتالي :

المجموع عدد	القادمون بحراً عدد	القادمون جواً عدد	القادمون براً عدد	الاجناس
٤١٦٣٩	٣٨٨٦١	٢٧٥٥	٢٤	من مصر
٥٧١٥	٣٥٧٩	٢٠٩٧	٣٩	» سوريا
١٤٩٧	٢٠٠	١٢٣٤	٦٣	» لبنان
٥٥٥٤	٥٣٣٩	٢١٤	١	» فلسطين
٧٧٤٦	١	٥٤٨٣	٢٢٦٢	» العراق
١١٤	٨١	٣٣		» كبتاو
٢٤	١١	١٣		» بخارى
٢٣٨٨		٢٢٧٦	١١٢	» افغانستان
١٥١٦٢		١٥٠٤٩	١١٣	» ايران
٥٦٨	١٨١	٣٨٧		» تركيا
٢٩٠٩	٢	٣٠٧	٢٦٠٠	» الاردن
٧١٠٢٩	١٠٨٥١	٨٥٠	٥٩٣٢١	» اليمن
٥٤٨	٢٢٩	٣١٩		» تونس
١٣٢٥	٧٨	١٢٤٦	١	» الجزائر
٧٢٨٩	١٨٤٤	٦٩٦	٤٩	» المغرب
٤٠	٣٩	١		من مسلمي اليونان
١٥٣	١٥٣			» مسلمي يوغسلافيا
١				» مسلمي المانيا
٣		٣		» مسلمي بريطانيا
٢		٢		» مسلمي أمريكا
٣		٣		» مسلمي كندا
١٣		١٣		» مسلمي ازبكستان
٨٣٤٢		٦١	٨٢٨١	» الكويت
٥٤		٥٤		» الكنغو
١٢٦٣		٣٢٥	٩٣٨	» قطر
٦٦٤		١٩	٦٤٥	» دبي
٢		٢		» رأس الخيمة
٤		٤		» مهرة
٦		٦		» عجمان
٢٤٦٢		٢٠٠	٢٢٦٢	» البحرين
٩٧٠		٣	٩٦٧	» عمان
٨٧٨٠	.....	١٩٩٣		زوار الرجبية
٢٦٥٤	٢٥٣٤	١٢٠		من اجناس مختلفة
٢٨٥٩٤٨	١٤٩٨٣٤	٥١١٣٠	٨٥٠٨٤	المجموع الكلي

هذا وقد قدر عدد الاهالي الذين قدموا من كافة انحاء المملكة للحج بتسعمائة الف حاج فيكون المجموع ١١٨٥٩٤٨ .

وفي مجلة الحج السعودية ، عدد ١٦ ذي الحجة ١٣٨١ الموافق ٢٠ مايو ١٩٦٢ ، بلغ عدد حجاج قطر ٢٦٠٠

إحصاء حجاج بيت الله الحرام

بلغ مجموع الحجاج الوافدين لى بيت الله الحرام فى موسم هذا العام ١٣٨١ مائتين وستة عشر ألفاً واربعمائة وخمسة وخمسين حاجا ، منهم إثنان وتسعون الفاً وتسعمائة وثلاثة واربعون حاجا وفدوا عن طريق البحر وتسعة وستون الفاً وأثنان وثلاثون حاجا وصلوا عن طريق البر ، واربعة وخمسون الفاً واربعمائة وثمانون حاجا عن طريق الجو . وفيما يلى إحصاء بالمجموع الكلى لكل جنس منهم حسبما اعلنته الجهات الرسمية :

الاجناس	العدد	الاجناس	العدد	الاجناس	العدد
اليمن	٤٦١٢٤	باكستان	١٨٩٦٦	زنجبار	١٨
ايران	١١٣٧٥	هندوستان	٢٠٠٣٦	كينيا	٢٣
تركيا	١١٨١٥	سيلان	١٠٦	الكونغو	٩
العراق	١١٣٧٩	اندونيسيا	٧٩٤١	مسلمو البرتغال	١٥
سوريا	٤٨٤٠	ملايا	٥٥٥٠	مسلمو بريطانيا	١
لبنان	٢١٢٣	سيام	٢٠٠٧	مسلمو امريكا	١٢
فلسطين	٥٢٩٣	الفلبين	١٤٣	جمهورية كديفور	١٢٧
كبتاون	١٥١	الهند الصينية	١٧	ليبريا	١٧
بخارى	٨٤	ليبيا	٥٥٠٧	مسلمو اليونان	١
افغانستان	٢:٧٩	مورس	٢٠	مسلمو كندا	٢
الاردن	٤٩٨٤	سير اليون	٨٠	مسلمو المانيا	٢
تونس	٩٣٧	قبرص	٣٩	مسلمو يوغسلافيا	٧٦
الجزائر	٥٤٩	غانا	٣٥٦	التبت	١٧٣
المغرب	٢٧٣٠	غينيا	١١٤٥	مسلمو مدغشقر	١
حضرموت	٢٩٨٧	مالى	٧١٨	الكويت	٧٣٩٤
عدن	١٧٨	تشاد	١٠٩		
الصين الوطنية	٤٢	فولتا العليا	١٠٣	قطر	٢٦٠٠
نيجيريا	٣٤١٦	الكاميرون	١٠١	عمان ، ومسقط	٧٣٢
شنقيط	١٩١	النيجر	١٩٤	الشارقة	٥١٠
الصومال	١٠٨٦	تنجنيقا	٣١	دبى	٢٢٣
الحبشة	٧٥٤	جامبويا	٩٨	بحيرى	٦٥
مصر	١٠٧٧٤	جمهورية توجو	٣٩	رأس الخيمه	١٣٣
السودان	٧٢٣٣	جمهورية داهومي	٧٨	مهرة	١٧٠
سواحل	١٧٢	شيعة الهند	٤٥١	عجمان	٤١٩
السنغال	١٩٥٢	شيعة الباكستان	٥٠٩	ابى دبى	٣

إحصاء حجاج بيت الله الحرام

حملة الشيخ علي ١٩٦٧ :


الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني

يذكر لي حفيده الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني، أنه حج في هذا العام مع حملة جده الشيخ علي بصحبة والده الشيخ محمد ووالدته الشيخة موزة بنت حسن بن عبد الله وكان عمره ست سنوات تقريباً، وكانت معهم جدته الشيخة حمدة، وعمه فهد بن علي وعمه خليفة بن علي، وجمع من الأهل والأقارب، وكان بصحبتهم الدكتور عمر حشيشو وهو الطبيب الشخصي للشيخ علي والدكتور فؤاد الجويني وهو طبيب أيضاً كان ملازماً للشيخ أحمد بن علي.

ومما يذكره الشيخ حسن، أن الحملة كانت مكونة من سيارات الشيوخ؛ حيث كان الشيخ علي يركب سيارة «كاديلاك» يسوق به ناصر الحساوي، ويجلس معه أحمد يوسف الجابر ليقرأ له في أثناء الطريق كتب الأدعية، وخلفه تسير سيارة بديلة، تكون جاهزة في حالة تعطل سيارة الشيخ علي، ويسوق بسيارة الوالدة عنبر العلي، وسيارات الخدم يسوق بها سعيد العلي وسيارات المطبخ تتقدمنا، إلى أن وصلنا استراحة الشيخ علي في الكرعانة على طريق «ام باب»، وتحركنا بعد صلاة العصر، وصلنا سلوى ليلاً ومنها إلى» أم حويض»، ثم الجافورة وهي منطقة تكثر فيها الرمال، وأذكر أن السيارات غرزت فيها، وقام الرجال بحمل السيارة وتخليصنا من الغرز، وكان موقفاً مثيراً لي، وأذكر أننا أكملنا الطريق إلى الحسا، وفي الحسا أرسل الشيخ علي أحد خاصته للسلام على

الأمــير ســعود بن عبــد الله بن جلوي[1]، وينقل إليه ســلام الشــيخ عــلي، ونيته المســير إلى الأماكن المقدســة، وكان بن جلوي مريضاً، ففي هذا العام توفي الأمير ســعود بن جلوي وأرســل الشــيخ عبد الله بن زيد آل محمود من الدوحة ببرقية عزاء للشيخ علي بن عبد الله آل ثاني في الأمير سعود بن جلوي .

Printed in England. April 1964. (20,000 pads). 5/47

CABLE AND WIRELESS LIMITED

(INCORPORATED IN ENGLAND)

OFFICE STAMP & DATE | NO. | TIME | CHARGE | CLERK'S NAME, No., CIRCUIT AND TIME FORWARDED

19-3-1967

OFFICIAL INSTRUCTIONS: VIA CW

NO. OF WORDS

INSTRUCTIONS TO BE SIGNALLED

NOTICE: IN THE ABSENCE OF ANY INDICATION TO THE CONTRARY IT WILL BE ASSUMED THAT THIS TELEGRAM IS TO BE CHARGED AT FULL RATE AND TREATED ACCORDINGLY.

Please write the NAME AND ADDRESS in CAPITAL LETTERS.

CLASS & ADDRESS

ل ت /

الشيخ علي بن عبـدالله آل ثانـي حفظه الله ـ منى ـ مكة المكرمة السعودية

سـلام عليـكم

نبارك لـكم في عيـد الاسـلام وحـج بيت الله الحـرام ، ونعزيكم في الأمـير سـعود بن جلوى آجركم الله على فقـده وأمتع في حياتكم بعـده .

عبدالله بن زيد آل محمود

I REQUEST THAT THE ABOVE TELEGRAM BE FORWARDED SUBJECT TO THE CONDITIONS PRINTED ON BACK OF THIS FORM BY WHICH I AGREE TO BE BOUND.

SIGNATURE AND ADDRESS OF SENDER (Not to be Telegraphed) رئاسـة المحاكم الشرعية بقطر ـ الدوحة ـ ص ب ٢٣٢ TELEPHONE ٢٢٤٢٣

P.T.O.

برقية عزاء

وذهبنــا من الحســا إلى المدينــة، وأذكر أننــا كنا نداوم على الصــلاة في الحرم النبــوي جميــع الصلوات وكانت صلاتنــا في الروضة الشريفة، كمــا قمنا بزيارة (مسجد قباء)، وزرنا البقيع، ولقد تركت تلك الزيارات في نفسي معاني لا تمحى من الذاكرة.

---

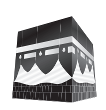
(١) هو سعود بن عبد الله بن جلوي آل سعود، ولد سنة ١٣١٩هـ في الرياض، تولى إمارة الأحساء والقطيف في آن واحد، والتي أصبحت فيما بعد تســمى بالمنطقة الشرقية بعد وفاة أبيه ســنة ١٣٥٤هـ، توفي يوم السبت السادس من ذي الحجة سنة ١٣٨٦هـ في مدينة الدمام ودفن بها.

وبعــد عدة أيــام قضيناها في المدينة، توجهنا صوب مكة بالســيارات، أحرمنا من مكان يســمى «أبيار عــلي» أو «آبار علي» ولقد طلبت المســاعدة في لُبْس الإزار والرِّداء، ومازلت أذكر مشاعر الخجل التي إنتابتني عندما ساعدتني إحدى البنات المرافقات لأمي وهي ابنة حســن مال الله، في تعديل ملابسي، فلقد كانت اكبر مني، ولكنها عاملتني كأخ صغير لها عمره دون الســبع ســنوات، فعندما ارتديت ثياب الإحرام كثيراً ما كان الإزار ينفلت من تحت الحزام.

وعندما وصلنا مكة طوفنا، وســعينا، كان جدي الشــيخ علي يســعى وهو يركب في ســيارة بيضاء، ونحن بجواره نطوف ونســعى عــلى أقدامنا، كنا نطــوف بين البيوت والحــرم كلــه حصى صغير، وحول مقــام إبراهيم بينما كان المنــبر الكبير من الرخام، وأخبرتني أمي أنها في حجتها الســابقة وربما كانت في عام ١٩٥٩م، شــاهدت الناس وهم يســعون بين الباعة والمشــترين، والمتجولــين، ومنهم من يركــب الحمير، أو يجر عربة، وبعض السيارات تصل إلى ساحة المسجد الحرام. وكانت أمي تستر وجهها حال الطواف، وقالت إنها لا تقدر أن تكشف وجهها، وقامت بالفدية فيما بعد.

ونحن في السعي كانوا يلقنوننا ونردد خلفهم:

« لا إلــه إلا اللــه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا اللــه وحــده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحــده» ونكرر، ثم ندعو ونكبر وهكذا. بينما كان الباعة يلاحقوننا ويجذبوننا من أيدينا يعرضون بضائعهم، وصلينا خلــف مقــام إبراهيم، وكانت أمي حريصة على أن نشرب مــن ماء زمزم بعد الطواف، بعــد ذلك نزلنــا « الزاهر» وهو قصر فخم من قصور الخمســينيات، وعمارته العربية جعلته من المعالم المميزة، وكانت حوله أرض فضاء، تكثر فيها النباتات البرية، وكانت أمي ترســل من يجمع لها بعض الأعشــاب كالســنامكي وغيرها، وللأسف هذا القصر تهدم الآن وتغيرت معالم المنطقة».



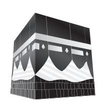
وفي «منى» نزلنا في بيت من أربعة طوابق، وكان البيت به مجلس مفروش بزولية[١] صفراء اللون تغطي جميع مســاحة المجلس، ومازلت أذكر المكتبة التي كانت مكدسة بالكتــب التي كان يطبعها جده على نفقتــه، يصطحبها معه من الدوحة، ليوزعها على مريديــه من العلمــاء وطلاب العلم، فقــد كان الناس يأتون للســلام عليه من مختلف البعثات الإسلامية، ويتحول مجلسه إلى منتدى لكبار الشخصيات من كافة البلدان.

وأذكــر أن جدتي الشــيخة حمدة بنت ثاني بن جاســم كانت تنزل في شــقة والعم خليفة بن علي في شــقة والوالد والوالدة وأنا معهم في شــقة. وكان المشهد المسيطر على ذاكرتي هو منظر الازدحام والعزائم والناس ومجلس جدي، وموائد الطعام، والأضواء المبهرة.

وفي عرفات كان المشهد مهيباً، مئات الآلاف من الخيام البيضاء، وأناس لا عدد لهم ينتشرون بلباسهم الأبيض تحتها ومن حولها، وحركة دائمة، وأيادي ترتفع إلى السماء في تضرع دائم وأفواه تتمتم بلا انقطاع، ولا أذكر باقي المناســك، فقد كان عمري ست ســنوات، ومن الطرائف التي أذكرها عندما أعطاني الشيخ علي العدية، سألتني أختي ماذا تشتري بها قلت لها سأشتري تيساً، وفعلا اشتريت تيس أحمر بنقط بيضاء.

وتوالــت مــرات الحج والعمرة، وتغيرت أشــياء كثــيرة، ولكن حجــي الأول ظل في ذاكرتي محفوراً.

(١) الزولية كلمة إيرانية وهي تعني السجاد أو البساط.



عودة الحجيج:

حتى أواخر القرن التاسع عشر، وحسب رواية لوريمر فإن القوافل كانت تسير عبر طريق آبار، حيث تسلك اتجاهاً دائرياً لتجنب عبور صحراء الجافورة، ولذا فهي تمر بحمرور، وبعيج، وكلاهما في بر القارة، ولكن الطريق العادي يمر في منعاية والبحث في الجافورة، وتبلغ المسافة من الهفوف إلى منعاية حوالي ٣٥ ميلاً وإلى البحث ٤٥ ميلاً وإلى بعيج ٦٥ ميلاً أو ٣٥ ميلاً إلى الغياثين و٥٥ ميلاً إلى بعيج، وتصل القافلة إلى دوحة سلوى بعد البعيج بحوالي ١٠ أميال وهناك تبدأ أراضي منطقة قطر[١].

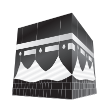
وبالتالي فإن الطريق من الهفوف في الأحساء إلى الدوحة في قطر كان يستغرق خمس مراحل بادئة من آبار «بعيج» في الأحساء وتمر على آبار العريق الجنوبي فالكرعانة فالمكينس والسيلية إلى الدوحة وذلك على أبعاد ٢٠ ، ١٢، ١٥، ٦ ، ١٤ ميلاً على التوالي أي أن المسافة الكلية هي ٦٧ ميلاً[٢].

كانت مظاهر استقبال الحجاج في الماضي تُعرب عن الفرحة بإتمام هذا النسك والشكر لله على سلامة العودة بعد أداء هذه الفريضة، فكان الأهالي يرفعون الأعلام في بيوتهم والتي تسمى «النشور» ليعلموا الناس بأن هذا البيت صاحبه في الحج، ومن ثم يتوقعون وصوله للسلام عليه وتهنئته بالعودة سالماً، فإذا اقتربت القافلة وعرف أهل الحجيج قدومهم قاموا بذبح الذبائح ابتهاجاً بعودتهم كما تقام الولائم احتفاءً بهذه المناسبة في بيت كبير حملة الحج، حيث كانت العادة أن يرجع جميع من كان في الحملة إلى بيت كبير الحجيج ليتناولوا العشاء، وبعد ذلك يتفرق كل واحد منهم ليذهب إلى بيته ليستقبله المهنئون، ويقوم بتوزيع الهدايا التذكارية عليهم، وعادة تكون مسابح (أهمها

---

(١) دليل الخليج: ج. ج. لوريمر، القسم الجغرافي، طبعة جديدة، الدوحة، ج ٢، ص ٨٥٤

(٢) دليل الخليج: ج. ج. لوريمر، القسم الجغرافي، طبعة جديدة، الدوحة، ج ٦، ص١٩٩١.



الفســفورية) التي تضيء في الظلام ، أو ســواك أو ســجاجيد صلاة، وقحافي (طواقي)، ملونة للأطفال وبيضاء للكبار، أو كتب كانوا يجلبونها معهم سنوياً، لتعم الفرحة كافة البيوت لفترة من أيام السنة....

وينظـر للعائـد مـن الحج كمن كتب لـه عمر جديد، ويبدأ سـلوكاً جديـداً ملتزماً بعباداته حريصاً عليها، ويكون ذا مخزون من الذكريات، طالما اسـتدعاها في جلساته مع أترابه، وكثيراً ما يقدم النصائح لمن عقد العزم على الحج.



أحد بيوت المقيمين الآسويين وقد رفعت أعلاها الاعلام

ويتذكـر الدكتور خالــد الملا[1] هذا المشــهد، فيقول: الأطفــال هم الأكثر ســعادة بعــودة الحجــاج، فقد كنا ننتظـر قدومهــم مــع بهجــة عيــد الأضحــى، وانتهــاء احتفالاتنــا «بالحِيَّة بِيَّة»[2] يعني قرب قدومهم، ونعرف بيوتهــم بالنشر (الاعلام) التي كانــت ترفرف عالية على قمة منازلهم، ونذهب إليهم للســلام، ويكون من نصيبنا هدايــا الحج وصــورة الكعبة المشرفة ونــشرب من مياه زمزم، وتسود حالة من البهجة بيننا، أما الأخوة المقيمون من مســلمي آســيا فقد كانوا يزينون البيــت كله باللون الأخضر والورود ويرســمون الهلالات والنجوم، ويتجمع الناس للسلام وتناول الطعام وتعم البهجة في كل البيوت.


دكتور خالد الملا

(١) الدكتور خالد الملا مدير مركز قطر للتراث والهوية.

(٢) الحيــة بيــة : عبارة عن وعاء قد يكون علب أطعمة أو الفواكه المحفوظة أو ســلال الخوص الصغيرة، يُخرم من الأســفل ومن الجانبين ، ويوضع فيها الــتراب و المخصبات الطبيعية وتُزرع ببعض أنواع الحبوب كالرشــاد أو الشــعير ، ثم تعلق بحبل على عمود مستعرض في المنزل في مكان معرض للهواء الطلق، و تصله الشــمس بشــكل مباشر، و يكون ذلك في بداية شــهر ذي الحجة.ويتنافس ،الأطفال بالعنايــة بهــذه النبتــة و ســقايتها كل يوم صباحاً و مســاء حتى تظهــر فيها النباتــات وترتفع، و يتفاخرون فيما بينهم بنمو حياتهم ، و في اليوم التاسع من ذي الحجة (يوم الوقفة) يتجمع الأطفال لإلقاء الحية في البحر، و ذلك بعد أن يقوموا بإطعامها الأرز أو أي شيء آخر. حيث يقف ،الأطفال على الســيف و يشــدون بأغنية الحية و يطلب فيها الطفل أن تكون حيته شــاهدة له و ألا تدعُ عليه وهذا معنى « لا دَّعين علي»، لأنه قام بتغذيتها «غديتج، وعشــيتك» ، ثم يذكر لحيته بأنه مع رعايته لها إلا أنه سيرميها في البحر وهو ما تعنيه كلمة «قطيتج».
حية بية يا حيتي. يا بيتي. على درب الحنينية.
يا حيتي حيي بي. بيت مكة دقي بي.
اشربي من ماي زمزم. وادعي لديارنا تسلم.
حية بية. راحت حية. ويات حية. على درب الحنينية.
ايش تاكلون لحم الطيور ايش تشربون نقطة عسل .....إلخ.
انظر: خليفة السيد المالكي: الألعاب والأهازيج الشعبية، الدوحة، ٢٠١١ ص ١٨٤.

لا اله الا الله محمد رسول الله

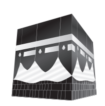
حاجى محمد ادريس

حج مبارك



هدايا الحج





كان حجاج قطر كغيرهم يشـترون مـن مكة الهدايا التذكارية، كالصور والسـبح وسـجاجيد الصلاة والمصاحـف (مصحف الجيب) ،وبعـض احتياجاتهم من الحلوى والتوابـل والبن والبخـور والملابس والذهب والعطور والقمـاش وغير ذلك من مؤن لا تتوفر عادة في الأسواق المحلية، فيشترون لمحبيهم من الأهل والأصدقاء وللصغار نصيباً منهـا، وكانـت الهدايا المعروضة للـشراء في ذلك الزمن محدودة؛ فـلا مجال للاختيار وتنحـصر تلك الهدايـا في «القريض» وهو حـب الحمص الصغـير المجفف، و«حلاوة مكة» وهي قطع حمراء بطعم السـكر تصنع في قالب كبير ثم تكسر إلى قطع على قدر كـف اليـد أو أصغر، وكان لها مذاق خاص وطعم حلـو رائع، وارتبطت هذه الحلوى بـ«مكـة» فعند النظـر إليها تعرف أنّها جلبت مع الحجيـج أو المعتمرين، كما أنّ من الهدايا «الزمارة» وهي آلة صغيرة عند النفخ فيها بالفم تصدر صوتاً جميلاً يفرح بها الصغار ويلهون بها، وقد ضرب بها المثل حيث يقال «زمّر ولدك» لمن وصـى صاحبه بشيء ودفع له القيمة مقدماً ليحضره.

وذكـر لي الفنان يوسـف أحمد أنه في أثنـاء الحج (١٩٧٠م)، كان منشـغلاً بشراء ألوان (بوية)، وفرش، لزوم الرسـم، وكراريس تعليم الخط العربي، وظل يبحث عنها حتى وجدها وكانت فرحته كبيرة بالحصول عليها، وعاد بها ليبدأ مشروعه الفني الذي تبلور فيما بعد.

وعموما فإن مكة كانت تتحول في موسم الحج إلى سوق متنوع السلع، وكل يشتري ما يحتاج إليه، ولقد أكد عدد من العلماء أن التجارة في الحج ليست من الأمور المحرمة،

وذلك يرجع لقوله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾، وذهب معظم العلماء إلى أن المقصود بالمنافـع هنا التجارة، أما فيما يتعلق بالحصـول على ثواب أداء هذه الفريضة إذا كان مسـافرًا إلى مكـة بهدف التجارة، فهذا أمر يرجع إلى النيـة في المقام الأول، وذلك لقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى». [رواه البخاري ومسـلم في صحيحهما]

فإن كانت النية أداء الحج مع التجارة بمكة فإن الله سوف يجازيه على أداء الفريضة ما دامت أن نية الحج احتلت المكانة الأولى لديه، أما إذا كان مسـافرًا بهدف التجارة في الحج للتربح من وراء ذلك، وأن نية التجارة مقدمة على نية الحج فهذا الأمر متروك إلى الله إن شاء جازاه وأعطاه أجره، وإن شاء منع عنه ذلك، لذا يجب على الجميع أن يعلم أن النية شرط أساسي في الحج، ولابد من توافرها لصحة أداء هذه الفريضة.



من معرض الحج - الفن في رحاب الرحلة - هيئة متاحف قطر أكتوبر ٢٠١٣

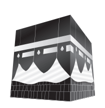


من معرض الحج - الفن في رحاب الرحلة - هيئة متاحف قطر- أكتوبر ٢٠١٣



المصادر والمراجع





١- باشا، أيوب صبري: مرآة جزيرة العرب، دار الآفاق العربية - القاهرة، ط١.

٢- البتنونـي، محمـد لبيـب: الرحلة الحجازيـة، القاهـرة، مكتبة الثقافـة الدينية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٣- الجويني، فؤاد: نهضة قطر الصحية، الاسكندرية، ط٢، ٢٠١٠م.

٤- الخليفي، يوسـف بن عبد الرحمن: التحفة البهيـة في الآداب والعادات القطرية، ط٢، الدوحة، ١٩٨٦م.

٥- الدروبي، محمد محمود: الأمير الراشد الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني، (الدوحة: مركز شباب برزان، ٢٠٠٨م)

٦- الربيعة، سـعد بن أحمد، رحلة الحج إلى البلد الحرام، الدار العربية للموسوعات - بيروت، ٢٠١١م

٧- الشـيباني، محمد شريـف: إمارة قطر العربية بين الأمـس واليوم، دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٢م.

٨- الشقير، عبد الرحمن بن عبد الله: قطر في مذكرات ابن مانع، د.ن، د.ت.

٩- العسَّاف، أحمد بن عبد المحسن (مقال نشر في مجلة البيان عدد شهر ذي الحجة عام ١٤٣١هـ) - الرِّياض.

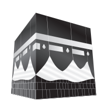
١٠- العسكري، عبد الوهاب: إمارة قطر، مطبعة التلغراف، بغداد، د ت.

١١- الفـار، درويـش مصطفـى: قطرات مـداد، مطابـع الدوحة الحديثـة، الدوحة، ١٩٨٥م.

١٢- آل ثاني، خالد بن محمد بن غانم بن علي، الحلي الداني في سـيرة الشـيخ علي آل ثاني: حاكم قطر السابق، الدوحة.

١٣- المالكي، خليفة السيد: الألعاب والأهازيج الشعبية، الدوحة، ٢٠١١م.

١٤- المختار، عمر تهاني: صفحات مضيئة من حياة الوجيه الشيخ قاسم بن درويش فخرو، (الدوحة: مركز شباب برزان، ٢٠١٣م).



١٥- المكى، محمد طاهر الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر - بيروت، ٢٠٠٠م.

١٦- أمين الريحاني: ملوك العرب. رحلة في البلاد العربية، دار الجيل - بيروت، الطبعة الثامنة - ١٩٨٧م.

١٧- حمـزة، فؤاد: البلاد العربية السـعودية. مكتبة النصر الحديثـة، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٨- رفعت، إبراهيم: مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشـاعره الدينية، طبعة أوفست، د.ت.

١٩- عبيدان، يوسف: رحلة الحج في الماضي، مجلة الجسرة، العدد ١٨ (يناير ٢٠٠٧م) نادي الجسرة الثقافي والإجتماعي، الدوحة، ص ٧٤و٧٥.

٢٠- لوريمـر، ج.ج.، دليـل الخليـج، القسـم الجغـرافي، طبعـة جديـدة، ج٥، ص ١٦٣٧و١٦٣٨م.

٢١- مختـار، عمر تهاني ناجي: علامة قطر الشـيخ عبد الله بـن إبراهيم الأنصاري، (مركز شباب برزان - الدوحة)، ٢٠٠٦م.

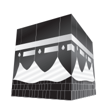
٢٢- رفعـت، إبراهيم باشـا: مرآة الحرمـين أو الرحلات الحجازية والحج ومشـاعره الدينية. طبعة أوفست. دون ت. م.

٢٣- صادق، محمد باشا: دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج. الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣١٣هـ.

٢٤- فكري، محمد همام: الرحلات الحجازية ، بدر للنشر ، بيروت ، ١٩٩٩م.

صدر للمـؤلف





١- يا شجرة التوت (مجموعة قصصية)، (الدوحة: مطابع قطر الوطنية، ١٩٩٩م).

٢- الخروج من الهامـش (مجموعة قصصية)، (الدوحة: مطابع مؤسســة الخليج، ١٩٩٣م).

٣- الرحلات الحجازية: (بيروت: بدر للنشر، ١٩٩٩م)

٤- ابن سـينا، شيخ الفلاسفة وأمير الأطباء :(الدوحة، مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، ٢٠٠٣ م)

٥- جاسـم بن محمد بـن ثاني، أبحاث الندوة التاريخيـة المصاحبة لاحتفالات اليوم الوطني لدولـة قطر ٢٠٠٨ (تحرير)، (الدوحة: لجنـة احتفالات اليوم الوطني، ٢٠٠٨).

٦- مسـاجد قطـر تاريخها وعمارتهـا، (تحريـر)، (الدوحة: لجنة احتفـالات اليوم الوطني، ٢٠٠٩م).

٧- أبحـاث ندوة التحديث والمحافظة على التقاليد المصاحبة لاحتفالات اليوم الوطني بدولة قطر ٢٠٠٩ (تحرير)، (الدوحة: لجنة احتفالات اليوم الوطني، ٢٠٠٩).

٨- كنـوز من الـتراث العلمي العربـي في أوروبا (الدوحـة: مكتبة الـتراث العربي، ٢٠٠٩).

٩- أبحـاث منتدى ذكريـات الغوص المصاحبة لاحتفـالات اليوم الوطنـي لدولة قطر ٢٠١٠ (تحرير)، (الدوحة: لجنة احتفالات اليوم الوطني، ٢٠١٠).

١٠- قطر في عناويـن الكتب العربية بمكتبات قطر (ببلوجرافيا) (الدوحة: مؤسسـة قطر للتربية والعلوم، ٢٠١١).

١١- أبحـاث منتـدى النشء القطـري بين تحديـات العولـة والحفاظ عـلى الهوية،

المصاحبة لاحتفــالات اليوم الوطني لدولة قطر ٢٠١١ (تحرير)، (الدوحة: لجنة احتفالات اليوم الوطني، ٢٠١١).

١٢- أوائـل ترجمات معاني القرآن الكريم في اللغات الأوروبية (الدوحة: مكتبة التراث العربي، مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، ٢٠١١).

١٣- قطر في القلب والتاريخ (الدوحة: مؤسسة قطر للتربية والعلوم، ٢٠١١).

١٤- مكتبة قطر الوطنية - ٥٠ عاما وما بعد:»، مؤسســة قطر للنشر، دار بلومزبري الدوحة، ٢٠١٢م

١٥- القلاع والحصون والأبراج، كتارا، (تحرير) الدوحة، ٢٠١٣.

١٦- قطر وتراثها البحري: كتارا (تحرير) الدوحة، ٢٠١٤.

١٧- إعلانات الســبعينيات في قطر: مؤسسة قطر للنشر، دار بلومزبري الدوحة، تحت النشر.

المحتويات



